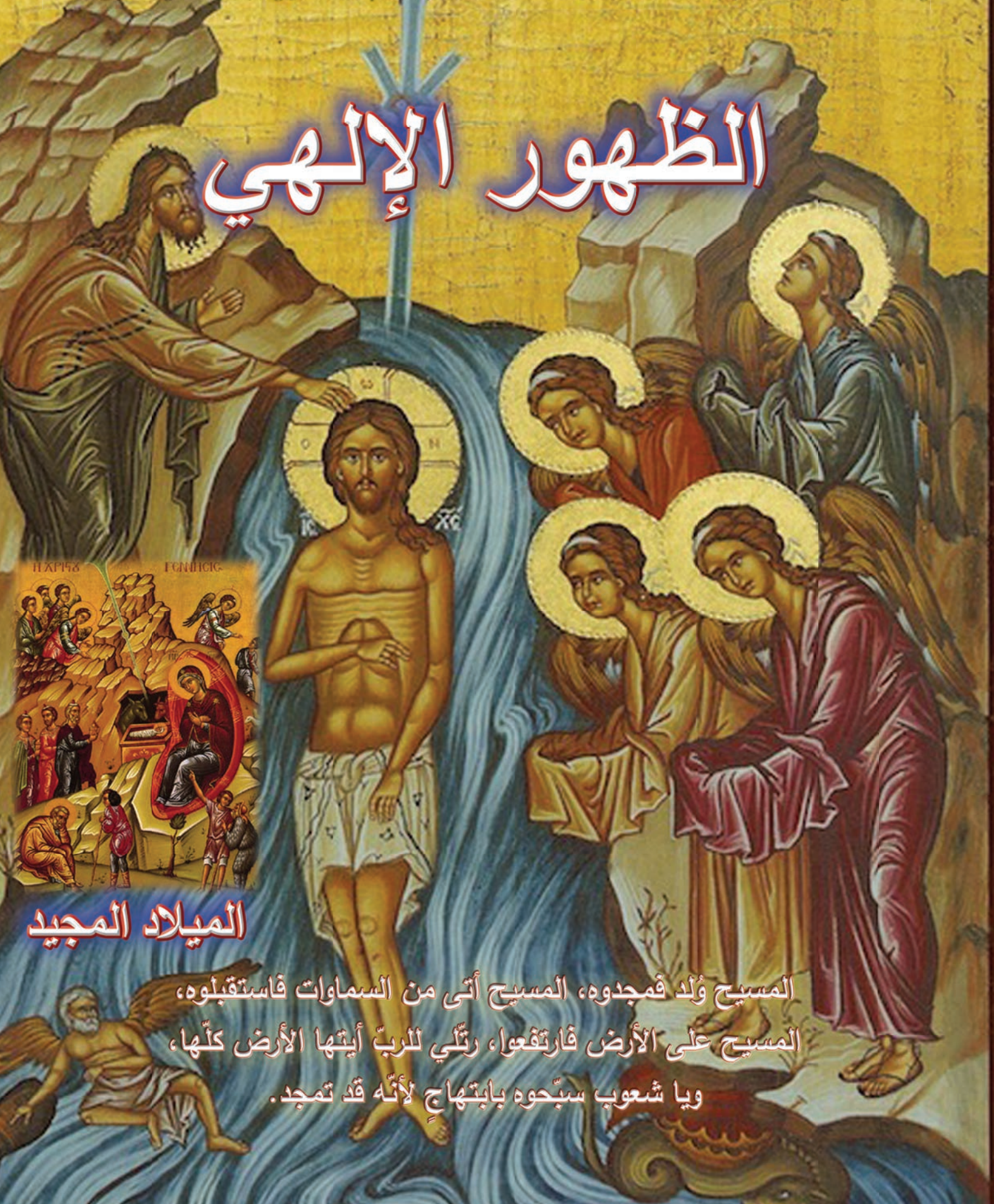




الظهور الإلهي



الميلاد المجيد

المسيح وُلد فمجدوه، المسيح أتى من السماوات فاستقبلوه،
المسيح على الأرض فارتفعوا، رتلّي للرب أيتها الأرض كلها،
ويا شعوب سبّحوه بابتهاجٍ لأنّه قد تمجد.

بمناسبة حلول عيد الميلاد المجيد

وبدء السنة الجديدة

تقدّم جمعية نور المسيح
بأحرّ التهاني والتبريكات

إلى غبطة البطريرك

كيرىوس كيرىوس ثيوفيلس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

وسائر أعمال فلسطين والأردن

طالبين من الاله المتجسد أن يشرق بنوره

أبناء الكنيسة، ويعضد بطريركنا بوافر محبته الإلهية

لتسير سوية في طريق الخلاص المعدّ لنا منذ الدهور.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة اورشليم كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالثة بمناسبة عيد ختان ربنا يسوع المسيح ، وتذكار القديس باسيليوس الكبير

لهذا فنحن مدعوون أن نُعيد النظر في أعمالنا وأقوالنا مُفتكرين فيها ومُصغرين إلى صوت القديس بولس الرسول الذي يقول: «وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِنْسَانَ اللَّهِ فَاهْرُبْ مِنْ هَذَا، وَاتَّبِعِ الرَّبَّ وَالتَّقْوَى وَالْإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالصَّبْرَ وَالْوَدَاعَةَ. جَاهِدْ جِهَادَ الْإِيمَانِ الْحَسَنَ، وَأَمْسِكْ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي إِلَيْهَا دُعِيتَ أَيْضًا، وَاعْتَرَفْتَ الاعْتِرَافَ الْحَسَنَ أَمَامَ شُهُودٍ كَثِيرِينَ» (١ تيمو ٦ : ١١ - ١٢).

وهذا لأن «مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلَاطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةٍ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أفسس ٦ : ١٢).

وهذه هي الحقيقة فعلاً وواقع الأمر أن مُصَارَعَتَنَا «مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ» لَأَنَّا نَرَى أَمَامَ أَعْيُنِنَا فِي عَصْرِنَا الْحَالِي الْحَدِيثِ، الْكَثِيرِينَ كَأَمْثَالِ هِيرَدُوسِ الْمَشْغُوفِينَ بِالْقَتْلِ الْفُظِيعِ. وَنَرَى أَيْضًا إِلَهُنَا

الْمُتَّحِدِ، إِلَهَ الْمَحَبَةِ وَالسَّلَامِ وَالرَّبِّ «يُضْطَهَدُ وَيُسْتَمَّ وَيُجَدَّفُ عَلَيْهِ» (متى ٢٤: ٩). بَيْنَمَا رَئِيسُ شَيَاطِينِ عَالَمِ هَذَا الدَّهْرِ. «إِلَيْسَ خَصْمُكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ.» (١ بطرس ٥ : ٨).

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ وَنَحْنُ «نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الْإِيمَانِ.» (عبر ١٢: ٢). وَصَانِعِ حَيَاتِنَا وَالْمَانِحِ إِيَانَا الْأَزْمَنَةِ وَالْأَوْقَاتِ، نَرْفَعُ صَلَوَاتِ الشُّكْرِ وَالتَّمَجِيدِ لِابْنِ اللَّهِ مُخْلِصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي ارْتَضَى أَنْ يُجْتَنَنَ بِالْجَسَدِ لِأَجْلِنَا.

وَهَا نَحْنُ بِدُخُولِنَا إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ ٢٠١٧ نَقُولُ مَعَ بُولَسِ الرَّسُولِ: «أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءَ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ، أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لِأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللَّهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» (فيلي ٣ : ١٤).

نَضْرُغُ إِلَى اللَّهِ أَنْ تَكُونَ سَنَةً سَلَامِيَّةً وَمُبَارَكَةً.

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب

البطريرك ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة اورشليم



”سَبِّحُوا الرَّبَّ إِلَهَ الْكَلِمَةِ . الَّذِي أَقَامَ كُلَّ الْبَرَايَا بِحِكْمَةٍ لَا تَوْصَفُ. وَأَخْرَجَهَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ. وَبَارَكُوهُ يَا أَعْمَالُ الرَّبِّ“. هَذَا مَا يُصَرِّحُ بِهِ مُرْتَمُ الْكَنِيسَةِ.

أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ الْمَسِيحِيَّةُ،

أَيُّهَا الزَّوَارُ الْحَسَنُ الْعِبَادَةِ الْأَتْقِيَاءُ،

تَحْتَفِلُ كَنِيسَةُ الْمَسِيحِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِعِيدِ خَتَانَةِ رَبَّنَا وَمُخْلِصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِالْجَسَدِ، وَتَصْنَعُ أَيْضًا تَذْكَارَ أَبِينَا الْقَدِيسِ بَاسِيلْيُوسِ الْكَبِيرِ رَئِيسِ أَسَاقِفَةِ قَيْصَرِيَّةِ كَبَادُوكِيَّةِ. وَمَعَ إِطْلَالِ هَذِهِ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ، نُكْرِّزُ بِفَرَحٍ أَقْوَالَ رَبَّنَا وَإِلَهُنَا وَمُخْلِصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لِأَنَادِيَ لِلْمَاسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعُمَى بِالْبَصَرِ، وَأَرْسِلَ الْمُنْسَحَقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرَزُ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ» (لو ٤ : ١٨ - ١٩).

إِنَّ خَبَرَ وَإِعْلَانَ سَنَةِ الرَّبِّ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي تَأَنَسَّ وَتَجَسَّدَ لِأَجْلِنَا مِنْ دِمَاءِ الطَّاهِرَةِ النَّقِيَّةِ سَيِّدَتِنَا وَالِدَةِ إِلَهٍ الدَّائِمَةِ الْبَتُولِيَّةِ مَرْيَمَ، الَّذِي أَعْلَنَ لَنَا فِي ذَاتِهِ زَمَانًا جَدِيدًا يَتَخَطَّى هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي يُبَيِّنُ وَيَجَدِّدُ فَحْوَى وَهَدَفَ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَوْقَاتِ بِحَسَبِ شَهَادَةِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي يَقُولُ: «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْأَزْمَنَةَ وَالْأَوْقَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا الْآبُ فِي سُلْطَانِهِ» (أعمال ١ : ٧).

وَيُفَسِّرُ الْقَدِيسُ غريغوريوس النيصصي أقوال الرب هذه قائلاً: ”إِنَّ الْآبَ الَّذِي لَا بَدَأَ لَهُ هُوَ الَّذِي يُسَيِّطِرُ وَيُدِيرُ الْأَزْمَنَةَ وَالْأَوْقَاتِ، وَلِهَذَا السَّبَبُ نَحْنُ نُدْرِكُ أَنَّ أَيَّ شَيْءٍ لَهُ عِلَاقَةٌ مَعَ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَوْقَاتِ وَأَيَّ شَيْءٍ لَهُ بَدَايَةٌ وَنَهَايَةٌ يَكُونُ خَاضِعًا لِسُلْطَانِ الْآبِ“.

وَبِكَلَامٍ آخَرَ إِنْ كَلِمَةُ اللَّهِ الْأَزَلِّيِّ وَغَيْرِ الْمَحْدُودِ بَزْمَنِ لَهُ بَدَايَةٌ زَمْنِيَّةٌ فِي هَذَا الْعَالَمِ ”وَذَلِكَ بِسَبَبِ وَلَادَتِهِ مِنَ الْعَذْرَاءِ“ وَلَكِنَّهُ سَيَبْقَى حَيًّا إِلَى مَدَى الدَّهْرِ فِي الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ الْكَنْسِيِّ، فَإِنَّهُ لَمْ وَلَنْ يَتَوَقَّفَ حُضُورُهُ بَيْنَنَا إِذْ نَحْنُ أَعْضَاءُ جَسَدِهِ أَيْ جَسَدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ فَنَحْنُ مَعَ الْمَسِيحِ إِلَى الْأَبَدِ لِأَنَّ الْكَنِيسَةَ هِيَ إِلَى الْأَبَدِ «لَأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ». (أعمال ١٧ : ٢٨).

وُلِدَ لَكُمْ مَخْلَصٌ



للأب متى المسكين

« فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: «لَا تَخَافُوا! فَهِيَ أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. » (لو ٢: ١٠ و ١١).

أولاً- اليوم:

يتهيأ للفكر - لأول وهلة- أن قصد الملاك من كلمة «اليوم» هو الأربع والعشرون ساعة، ولكن السماء، في الحقيقة، لا تعني أبداً بتحديد أزمنة بأيام وساعات، بل هو تعبير عن استعلان غير الزمني داخل الزمن. فالله الذي لا يُحْدَ وجوده أو عمله بالأيام دَخَلَ دائرة الزمن والحركة. هنا كَسُرَّ للحاجز الذي يفصل الزمني عن اللازمي من جهة الوعي البشري فقط، فالحاجز هو حاجز الرؤيا والإدراك والوعي، إذ ابتدأ الإنسان يعي ما هو فوق الوعي فيحس ويرى ويسمع ويدرك الله الذي لم يكن يُدرك بالوعي الإنساني قط.

وكان الأنبياء قديماً يعبرون عن «هذا اليوم» بقولهم «في ذلك اليوم»، وقد شدد ملاخي النبي بصفته آخر الأنبياء عن «ذلك اليوم» (ملاخي ٣: ١ و ١٧؛ ٤: ١ و ٥). في مواضع عدّة من نبوته، لأنه أصبح أقرب لهذا اليوم من جميع الأنبياء الذين سلفوه. وقد استشهدت الأناجيل برويته لهذا اليوم «هَآنَذَا أُرْسِلُ مَلَائِكِي فِيهِنَّ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَعْتَةٌ إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدِ (الرب) الَّذِي تَطْلُبُونَهُ. وَمَلَائِكَةُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسْرُونَ بِهِ.» (أردتم أن تبتهجوا بنوره

ساعة) (يو ٥: ٢٥). هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. «وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ جَمِيئِهِ؟ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟» (ملاخي ٣: ١ و ٢).

هنا «اليوم» بمفهومه الزمني يصفه النبي «لأنه مثل نار المحصّ»، فالنار تعبر عن الاستعلان المفاجئ لطبيعة الله في الزمن في العالم: «جِئْتُ لِأَلْقِي نَارًا عَلَى الْأَرْضِ» (لوقا ١٢: ٤٩).

أما كلمة «بغثة» فهي لا تُقاس بالزمن أيضاً ولكنها تعبر عن مفاجأة الشعور والوعي عند استعلان اللازمي (الله)، حيث يُصاب الوعي بصدمة إما تضيئه إذا كان مُعدّاً ومستعدّاً، وإما تحرقه إذا كان معانداً رافضاً: «وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ جَمِيئِهِ؟ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟»

- «فَهُوَذَا يَأْتِي الْيَوْمَ الْمُتَقَدِّمُ (يوم الرب) كَالثَّوَرِ. وَكُلُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشًّا. وَيُحْرِقُهُمُ الْيَوْمَ الْآتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ» (ملاخي ٤: ١).

- «وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبَرِّ (نور) وَالشَّفَاءُ فِي أَجْنَحَتِهَا» (ملاخي ٤: ٢).

فيوم مجيء الرب: «أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ ... مُخَلِّصٌ» لا ينقطع استمراره لأنه مرتبط بديمومة الرب نفسه وبعمله المستمر «الخلاص» كفعل هنا وكنتيجة هناك. وعلى هذا اليوم الممتد عبر الخلاص ينفش الفرخ بقوة كقوة لبيب النار: «فَهِيَ أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ». فالفرخ العظيم لكي يستوعبه جميع الشعب يوضح مدى العمق والارتفاع والامتداد لهذا اليوم، فهو «يوم الخلاص الأبدي».

ويقابله في الإنجيل اليوم الآخر أو الآخرة، الذي يوازيه في الديمومة وفي العمق والامتداد، وفي استعلان عمل الله - إنما على مستوى غضب الله - داخل الزمن، حيث الحروب (الجمع هنا يفيد التنوّع وليس مجرد الكثرة) هي حرب الجسد وحرب الأيديولوجيات وحرب العداوة العنصرية وحرب القوات الخفية المفسدة. وحيث الأوبئة هي أوبئة الأمراض والأخلاق والجنس والمخدرات. والمجاعات: مجاعة إلى الحبز ومجاعة إلى الطهارة ومجاعة إلى المحبة ومجاعة إلى السلام. وزلازل تصدع الأرض والأبنية والتقاليد والأفكار والثقة... إلخ.

لذلك فالיום الآخر ممتد عبر عصور منهار، وليس محدداً بفترة زمنية. وهو لا يأتي فجأة بالمفهوم الزمني، أي بوقف عقارب الساعة لكي تعلن بدايته؛ ولكن هذا اليوم يقتحم مسار الزمن من مواضع عدّة حيث يُستعلن غضب الله في اختيار نظم الحضارة المجنونة الكاذبة من جوانبها الشائخة، وحيث تنهار أيديولوجيات وتفتضح نُظُم، ويكتشف الإنسان فداحة الضريبة التي فرضها على نفسه بابتعاده عن وصية الله. ولكن لن تكون هناك رجعة لأن الإنجيل يقول إن هذه الحروب لا بد أن تأتي وتمتد وتكمل.

ولكن يوم مجيء الرب واستعلان حضرته في هيكله، أعني به يوم ميلاده الذي يمتد حتى الصليب والقيامة ويتجاوز حتى إلى حضوره في مجيئه الثاني - يمتاز هذا اليوم عن اليوم الآخر بأن يوم

الخلاص يَكْمُلُ بمجيء الرب الثاني واستعلان مجده الأبدي، أمّا اليوم الآخر فيَكْمُلُ بالدينونة الأبدية. ولكن كلاً من هذين اليومين يضرب جذوره في أعماق الزمن ويتجاوزه إلى الأبدية.

ثانياً- وُلد لكم اليوم:

يوم الميلاد هذا، الذي كان في ليلة حالكة الظلام، صار فجر العالم الجديد الذي أشرقت فيه شمس البر التي لا تغيّب، فهو:

١- اليوم الفاصل بين الزمن الذي يصنعه الإنسان والزمن الذي صنعه الرب:

فهو اليوم الذي قيل عنه في المزمور «هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ، تَبْتَهِجْ وَتَفْرَحْ فِيهِ.» (مز ١١٧: ٢٤)، وهو الذي تترنل له الكنيسة بالفرح والتهليل في لحنها المعروف (في الفصح المجيد والآحاد التي قبل عيد الصعود)، فهو يوم صنعه الرب للبشر لخلاصها، غيّر جميع أيام الإنسان، يوم عزيز ومعتز، يخسف جميع الأيام ويلغيها، ليس إلغاء يجعلها بلا زمن وبلا عمر، ولكنه يلغي كل همومها وآلامها وأوجاعها وقصورها وخطاياها وتعدّياتها. فهو ليس يوماً زمنياً يحمل آثار الماضي بذلته وزلاته ولا أوهام المستقبل غير اليقيني، ولكنه يوم ضارب جذوره في أعماق الأبدية، في الخلود، في الله، كل ما فيه حق وفرح ونعمة وسرور وامتداد ولا موت، فيه انفتحت الأبدية على الزمن فصار هذا اليوم.

وفي الخبرة الروحية الدخول في هذا اليوم هو بدء تجلٍ يتغير ويتجدّد فيه كل شيء، فهو يوم غسيل البشرية وتجديدها الأبدي، اليوم الذي ظهر فيه مخلصنا الصالح في عالم الموت والفناء، عالم الدموع والتنهد والبكاء. هو يومٌ وُضع تاجاً على رأس جميع الأيام. وفي أيّ يوم من أيام حياتنا نخزن ونكتتب، علينا فقط أن نرفع قلوبنا وعيوننا إلى هذا اليوم فنُغسل كل همومنا وأحزاننا وآلامنا وندخل في الفرحة الأبدي وبهجة الخلاص التي بلا حدود، يوم فرح عظيم يكون لجميع الشعب.

٢- وهو اليوم الفاصل بين العهد القديم والعهد الجديد:

وقد عبّر الرب يسوع نفسه عن هذا الفصل بين القديم والجديد بقوله: «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: ... وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: ...» (متى ٥). ولكنه ليس فصلاً بقصد الإلغاء وإنما للتكميل «مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلًا لِكَمَلٍ.» (مت ٥: ١٧). فهو فصل بغرض الوصل، الفصل بين عهدين على مستوى حياة أخفقت وحياة أشرقت، أما الوصل فهو التكميل: «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ» (مت ٥: ٢١ و ٢٢). فالوصل هنا جاء بعمل شفاءٍ وتطبيب لجراح البشرية، أعطاهما قوة وقدرة ونعمة أن يكون في إمكان الإنسان التافه ابن الغضب ألا يغضب.

وفي هذا تحقيق لنبوة إرميا النبي القائلة: «هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمَسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لِأَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ حِينَ تَقْضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. وَلَا يَعْلَمُونَ بَعْدَ كُلِّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَائِلِينَ: اعْرِفُوا الرَّبَّ، لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كِبِيرِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، لِأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلَا أَذْكُرُ خَطِيئَتَهُمْ بَعْدَ.» (إر ٣١: ٣١-٣٤).

٣- وهو اليوم الفاصل بين ماضٍ حُسبَ ميتاً كتاريخ، وبين حاضر دائم لا يموت لأنه يمتد إلى الأبدية:

فهو اقتحام من اللازمي في الزمن، طعم الزمن بالخلود. إذ أخذ جسدنا المحدود ووحدته بلاهوته فصار غير محدود! وهكذا رفع عن المحدود محدوديته، وأزال كل عوائق الإتحاد بالله.

وهذه هي شهادة يوحنا الحبيب في رسالته الأولى: «لَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسْنَاهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ الْحَيَاةَ أَظْهَرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخَبِّرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الْآبِ وَأُظْهَرَتْ لَنَا. الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخَبِّرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرَكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرَكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الْآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَنَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ يَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلًا.» (١ يو ١: ٤).

وفي التسبحة في ثيوطوكية الأربعاء نسبح مع الكنيسة قائلين: (غير المبتدئ ابتداءً، وغير الزمني صار زمنياً، غير المدرك لمسوه وغير المرئي رأوه..)- كتاب التسبحة السنوية.

في هذا اليوم اقتحم الرب الزمن الميت وعالم الإنسان بتاريخه الحقيق ليُمحو منه كل صفحاته السوداء ويعيده إلينا مرة أخرى حاضراً دائماً ضارباً أعماقه في الماضي حتى آدم، حتى قلب الله، وضارباً جذوره في المستقبل المبهم ليَجعله خاضعاً للوعي البشري وخاضعاً للرؤية والمشاهدة.

في هذا اليوم صار جسدنا الميت قابلاً أن يحمل الروح القدس، وأن يصير هيكلًا لله، وقابلاً أن يأخذ تجديداً يُمحو منه كل صفاته الوراثية التي أخذها من آدم، إذ يولد ولادة جديدة من الله فيصير ابناً لله.

٤- وهو اليوم الفاصل بين السرّ المخفى منذ الدهور الذي لم يُعرَف به بنو البشر (أف ٣: ٥) وبين استعلان هذا السرّ:

لأن السرّ هو يسوع المسيح، فهوذا بولس الرسول يقول لأهل أفسس: «أَنَّهُ بِإِعْلَانِ عَرَفْنِي بِالسَّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكُنْتُ بِالْإِيجَازِ. الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَئِذٍ تَقْرَأُونَهُ، تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَاجَتِي بِسَرِّ الْمَسِيحِ.

الظُّلْمَةُ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ... كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُبْرِئُ كُلَّ
إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ.» (يو ١: ٩ و ٥ و ٩).

يصف **يوحنا** الإنسان حينما كان حيًّا بالله يعيش في نور هذه
الحياة، بغرائز مهذبة كما خلقها الله. ثم
لما خالف الله علَّم غرائزه التوحش بانحرافه
واندفاعه وراءها، حتى أصبحت هذه
الغرائز كوحوش ضارية تعيش في جُبِّ
مظلم يخيم عليها الموت، إلى أن أشرق
عليها النور ثانية ليعيد إليها الحياة.

والنور هنا في الحقيقة يؤخذ على
محملين: محمل ذاتي، ومحمل موضوعي.
ففرق بين أن أعيش في النور وأن أعيش
مع النور.

فالنور العادي هو شيء موضوعي يمثل
المعرفة ويمثل الطهارة والانسجام
والاستقامة، فهو عالم النور الذي نعيش
فيه، أما النور نفسه الذي هو **المسيح**
نور العالم وأبو الأنوار فهو النور الذاتي،
النور نفسه الذي يسلم لنا هذه الأشياء
فيصير لنا النور. ففرق بين أن أمشي في
النور وهذا من واجب الإنسان «**النُّورُ**
مَعَكُمْ زَمَانًا قَلِيلًا بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ
لَكُمْ النُّورُ» (يو ١٢: ٣٥)، وبين أن
أخذ النور فأصير نورًا، وهذه عطية الله وهبة لنا بالمسيح «**أَنْتُمْ نُورُ**
الْعَالَمِ» (مت ٥: ١٤)، «**فَلْيُضِيءِ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ**» (مت
٥: ١٦)، «**فَآخِذَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ**». (غل ٢: ٢٠).

فإشراق النور على الجالسين في الظلمة ليست نورًا محيطًا، ولا هي
معرفة مجرد معرفة، بل هي إشراق ذاتي، إشراق الله كنور أبدي يشرق
على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، فيرفع عنهم الظلمة ويرفع
عنهم الموت ويعطيهم الفرح والسرور والبهجة.

قبل هذا اليوم العظيم كان للشيطان مجال وعالم ووجود داخل
الإنسان وهذا ما نسميه عالم الظلمة «**مَنْ يَبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي**
الظُّلْمَةِ، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلَا يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي، لَأَنَّ الظُّلْمَةَ
أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ». (يو ١: ١١)، أي أن البغضة والعداوة أعمت
حواس الإنسان الروحية، وأعمت وسائل الرؤية ووسائل المعرفة لديه
وبالتالي الحب، وأفقدت وسائل الإبصار الإلهية التي فينا أي المقدرة
على رؤية الله، وهكذا يصير الإنسان في ظلمة ولا يعلم أين يمضي
 ويفقد أعضاء الإحساس بالله وأعضاء الحب التي خلقها فينا الله.

ولكن اليوم أشرق المسيح، النور الذي أضاء في الظلمة والذي لم
تدركه الظلمة، لكي يعيد البصر لحواسنا التي أعمتها الظلمة.



السَّمَاءُ كُرْسِيِّ لِي، وَالْأَرْضُ مَوْطِي لِقَدَمَيَّ.

الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرٍ لَمْ يُعَرَفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الْآنَ
لِرُسُلِهِ الْقَدِيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ: أَنَّ الْأُمَّمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ
...» (أف ٣: ٣ - ٦).

هذا هو الجسد المقصود الذي صار الأمم شركاء
فيه، الجسد المولود في **بيت لحم**، الذي استطاع أن
يكشف لنا سرَّ الله المكتوم منذ البدء منذ الخليقة، إذ
كشف لنا حب الله للبشرية وقدرته على تخليصها من
ذنوبها وآثامها وآلامها بشيء لا يمكن أن يتصوره
عقل بشري! بجسدٍ نأخذه ونأكله ويحتل كل كياناتنا
الفكري والجسدي والروحي.

فهو يوم فاصل بين الجهل بمحبة الله وحنؤه ورحمته
وبين استعلان هذه المحبة استعلانًا ليس على مستوى
الفكر والإدراك بل واقعي عملي مأخوذ ومأكول
ومشروب.

فلكي لا يبقى إنسان جاهلاً بحب الله ومراحه
الأبدية وتحننه وقربه العجيب للإنسان، لم يقترب إلينا
بفكر أو بعمل محدود يفصله عنا شيء زمني أو مادي،
بل صارت الثرى اتحادًا بجسدنا، بلحمنا وعظمننا لكي
يؤهل الإنسان لهذا الجسد عينه فيأكله بالسر. لأن سرَّ
الله لا يكفي أبدًا أن نعيه حسيًا بل أن نأخذه روحياً
في قلوبنا بالإيمان. فنحن حينما نأكل القربانة من على
المذبح نأخذ جسد المسيح الكلي، جسده الذي اتحد
بلاهوته، مثلما قال **القديس إيرينيئوس** عندما كان

يحاجج رجالاً يهوديًا: (نحن الذين أكلنا الإفخارستيا كيف يمكن أن
لا نقوم في القيامة ونحن قد أكلنا القيامة؟)

٥- وهو اليوم الفاصل بين الظلمة والنور:

عبر عن ذلك إشعيا النبي في العهد القديم بقوله: - «**الشَّعْبُ**
الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا، وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ
وْظِلَالِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ» (إش ٩: ٢، مت ٤: ١٦).

ثم جاء **زكريا الكاهن أبو يوحنا المعمدان** فأضاف إلى نبوءة
إشعيا قوله: - «**بِأَحْشَاءِ رَحْمَةٍ إِلَيْنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدْنَا الْمُشْرِقَ مِنَ**
الْعَلَاءِ. لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلَالِ الْمَوْتِ، لِكَيْ
يَهْدِيَ أقدامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلَامِ» (لو ١: ٧٨ و ٧٩).

ولما حمل **سمعان الشيخ الرب يسوع** على ذراعيه بارك الله قائلاً:

- «**الآن تطلق عبدك يا سيّد حسب قولك بِسَلَامٍ، لَأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ**
أَبْصَرْتُ خَلَاصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورٌ
إِعْلَانٍ لِلْأُمَمِ، وَبِحَدِّ لِسْعِكَ إِسْرَائِيلَ» (لو ٢: ٢٩ - ٣٢).

أما **يوحنا الرسول** فيصف دخول هذا النور إلى العالم بقوله:

- «**فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي**

٦- وهو اليوم الفاصل بين الخوف والحزن والبكاء والتشهد في أغلال الخطيئة وبين الفرح العظيم بالخلاص:

«فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: «لَا تَخَافُوا! فَهَذَا أَنَا أَبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ... مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ.»

في العهد القديم كان ظهور الملاك لأي إنسان دائماً يُرعب ويُخيف، فيقول له الملاك: لا تخف. وكان لما ينكشف الستار قليلاً للأنبياء فيرون شيئاً من الله يرتعون ويقعون على وجوههم. حدث ذلك لدانيال الرجل المحبوب الذي وصف حاله قائلاً: «وَرَأَيْتُ هَذِهِ الرُّؤْيَا الْعَظِيمَةَ. وَلَمْ تَبْقَ فِيَّ قُوَّةٌ، وَنَضَارَتِي تَحَوَّلَتْ فِيَّ إِلَى فَسَادٍ، وَلَمْ أَضْبِطْ قُوَّةً... وَلَمَّا سَمِعْتُ صَوْتَ كَلَامِهِ كُنْتُ مُسَبِّحًا عَلَى وَجْهِهِ، وَوَجَّهِي إِلَى الْأَرْضِ. وَإِذَا بِيَدٍ لَمَسْتَنِي وَأَقَامَتَنِي مُرْتَجِّمًا عَلَى رُكْبَتَيَّ وَعَلَى كَفِّي يَدَيَّ... فَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ يَا دَانِيالُ... وَأَنَا سَمِعْتُ وَمَا فَهِمْتُ.» (دا ١٠: ٨-١٢، ١٢: ٨).

هذا هو ما حدث في العهد القديم... ولم يستطع دانيال الرجل المحبوب أن يفهم شيئاً من الرؤيا. أما اليوم في العهد الجديد فقد قال الملاك للرعاة «لَا تَخَافُوا! فَهَذَا أَنَا أَبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ... مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ.»

لما ظهر لهم الملاك «خافوا خوفاً عظيماً»، لذلك قال لهم الملاك: «لَا تَخَافُوا»، وهذا أمر طبيعي، فكل إنسان يقترب من الله لا بد أن يشعر بالخوف. ففي حضرة الله تنكشف الضمائر والقلوب ويرتد الإنسان إلى ماضيه وخطاياهِ فيرتعب. إشعياء النبي حدث له ذلك حينما انكشف له مجد الله: «رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُزْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلَأُ الْهَيْكَلَ.... فَقُلْتُ: «وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لِأَنِّي إِنْسَانٌ بَجَسِ الشَّقَاتِي، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ بَجَسِ الشَّقَاتِي، لِأَنَّ عَيْنِي قَدْ رَأَتْ أَمْلَكَ رَبِّ الْجُنُودِ» (إش ٦: ١-٥). «فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ خَبْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ، فَاشْرَعِ إِثْمُكَ، وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيئَتِكَ» (إش ٦: ٦ و٧).

لا بد أن نترجم ما حدث لإشعياء النبي بأنه رؤية حقيقية سليمة بالنسبة لحياتنا وسلوكنا في حضرة الله. ففي حضرة الله من لا يخاف فهو لم ير شيئاً، ومن لا يرتعب فمعناه أنه لم يقترب...

وأما في حضرة المسيح وفي رؤية الخلاص الدائم، وفي انفجار هذا النور الذي أشرق لنا من العلاء بأحشاء رحمة إلهنا، فقد تحول الخوف العظيم إلى فرح عظيم جداً، فرح «لا يُنزع منكم.»

فاليوم يا أحبائي وُلِدَ لنا: الحد الفاصل أو الحد الواصل ما بين رغبة الخوف وما بين شدة الفرح. هذه هي إحدى الوجبات التي نتناولها كل يوم من على مائدة الرب، فيها نحول الرغبة إلى قُربى ونحول الخوف إلى فرح عظيم! هذه وجبة يجب أن نتعلم كيف نأكلها! فحينما يرجع الإنسان إلى نفسه ويرى خطاياهِ ويقرعه صدره، لا بد أن تنفتح عيناه على المسيح ليستمد منه الخلاص والقوة والفرح.

ولكن إذا كان إنسانٌ يفرح دون أن يكون عنده المخافة ففرحه هذا مزيف، إنسان يتהלّل ويدعي أنه خلّص وهو ما زال غارقاً في خطاياهِ فهو كذّاب. ولكن الفرح نفرح به ونتهلّل حينما نشعر أن عنصر التحويل قائم فينا يحوّل الخوف إلى فرح والضعف إلى قوة والخطيئة إلى بَرٍّ.. وهل هذا ممكن؟ نعم، وبكل تأكيد «حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيئَةُ زَادَتِ النِّعْمَةُ جَدًّا» (رو ٥: ٢٠). وكيف يكون هذا؟! لأنه كلما ازدادت الخطيئة وكلمنا شعرت بازديادها جداً عرفت من أنت وابن من أنت، وأنتك ابن التراب وابن الأموات وابن الخطيئة؛ تستغيث فتأخذ وتنال النعمة والقوة والفرح بالمغفرة.

٧- وهو اليوم الفاصل بين الغضب الإلهي الذي أغلق على الجميع في العصيان (التعدي) وبين الرحمة الإلهية، لكي يرحم الجميع:

فقد أغلق الله على الجميع في العصيان بواسطة الوصية والناموس، «لَأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَتَّبِعُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ» (غل ٣: ١٠).

هذا هو الناموس، هذا هو الحرف الذي يقتل؛ أما الروح، فإن قلت: «أنا أخطأ الخطأ» يقول لك: «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدُوسِ». هذا اللص الذي لم يصم ولم يسجد ولم يسبح ولم يحفظ الإنجيل ولا المزامير... ولكنه صرخ من كل قلبه قائلاً: «ادْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتُ فِي مَلَكُوتِكَ»، قال له: «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدُوسِ...!!».

هذه هي الصرخة التي تستطيع أن تنقل أخطأ الخطأة إلى بَرٍّ الله! وعود الحزن والكآبة والتشهد يجعلك تعيش في حضن الآب بنور أبدي نور القديسين، هنا وهناك.

فالغضب الإلهي لم يكن ظلمًا، ولكنه كان وصايا وقانوناً وضعه الله حتى أن كُلَّ من يعمل به ينجي به، ومن لا يعمل به موتاً يَمُتُ... ولكن «الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلَاحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ.» (رو ٣: ١٢). حتى الأنبياء؟! نعم، الجميع زاغوا... وليس من يعمل الصلاح! أغلق على الجميع في العصيان لكي يرحم الجميع، لكي يرى الإنسان معدنه الحقيقي ويعرف من هو بالنسبة للقانون الإلهي وبالنسبة لعدل الله.

فهذا هو اليوم الفاصل بين الغضب الإلهي والرحمة الكلية، الغضب الذي هو نصيب الجميع، كل من يخطئ، والرحمة الكلية التي هي نصيب كل من يصرخ!!

هذا ما عرفته **السيدة العذراء القديسة مريم** فصرحت قائلة: «تَعْظُمُ نَفْسِي الرَّبِّ وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخَلِّصِي لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أُمَّتِهِ. فَهُوَذَا مِنْذُ الْآنَ جَمِيعُ الْأَجْيَالِ تَطُوبُّنِي لِأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ لِي عَظَائِمَ وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الْأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ....» (لو ١: ٤٦-٥٠).

الاتحاد إلى ملء قامة الله إلى ملء الله...

لذلك دُعي اسم المسيح «عَمَّا نُؤْيِلُ» الذي تفسيره «الله مَعَنَا»، هذا هو اسم المصالحة، اسم المعية الكلية مع الله وموضوعها الكلي! الله معنا معية الوجود الكامل إلى الاتحاد غير المنظور وغير المنفصل.

٩- وهو اليوم الفاصل بين ما هو تحت حكم الموت بسبب الذنوب والخطايا وبين الخلاص بسبب ميلاد المخلص:

« وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلًا حَسَبَ ذَهَرِ هَذَا الْعَالَمِ... اللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ » (أف ٢: ١ و ٢ و ٤ و ٥).

« وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَاحًا لَكُمْ بِكُلِّ الْخَطَايَا. » (كو ٢: ١٣).

كنا أَمْوَاتًا، فأحيانا... لأن «وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ». لأنه لما ظهر المخلص بالجسد ظهر الخلاص طبعًا... والخلاص من الموت هو الحياة، وهذا مطابق تمامًا لقول يوحنا الرسول: « فَإِنَّ الْحَيَاةَ أَظْهَرَتْ... » (١ يو ٢: ١) فالحياة الأبدية التي كانت عند الآب أظهرت لنا!

فالخلاص معناه الحياة الأبدية، وهذا هو اليوم الفاصل بين الموت والحياة، الموت بمفهوم الخطيئة والحياة بمفهوم الخلاص. وميلاد الرب يشمل أساسًا مفهوم الخلاص « فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ » (مت ١: ٢١)، فاسمه يعبر عن وظيفته وعمله القادم «لأنه يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ»، و«وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَاصُ. لِأَنَّ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ تُخَلَّصَ » (أع ٤: ١٢).

فاسم يسوع هو اسم الخلاص، وكل من يدعو باسم الرب يخلص. لأن الاسم يعبر عن الحضرة، ومن ينادي باسم الله يدخل في حضرة الله؛ وكل من ينادي باسم يسوع ينال الحضرة الإلهية وينال الخلاص.

واليوم يوم ميلاد المخلص هو اليوم الفاصل بين حكم الموت بسبب الذنوب والخطايا، وبين الخلاص الأبدى والحياة الأبدية التي أظهرت لنا.

إذا اخضرر منها جانب جف جانب

ألا إنما الدنيا نضارة أيكة

إذا اخضرر منها جانب جف جانب

هي الدار ما الآمال إلا فجائع

عليها ولا اللذات إلا مصائب

فلا تكتحل عينك فيها بعبرة

على ذاهب منها فأنك ذاهب

لقد رأت العذراء هذه الرحمة غير المحدودة فنطقت بهذه التسبحة «الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ»، أو صنع بنا عظام بواسطتها، لقد عرفت بالعظام التي في بطنها وتكلمت عنها وهو ما زال في بطنها.

٨- وهو اليوم الفاصل بين الغربة الكلية عن الله والمعية الكلية مع الله:

« وَأَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا أَجَنِبِينَ وَأَعْدَاءَ فِي الْفِكْرِ، فِي الْأَعْمَالِ الشَّرِّيةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ الْآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ... » (كو ١: ٢١ و ٢٢).

« كُنْتُمْ قَبْلًا أَجَنِبِينَ », والآن، وُلِدَ لَكُمْ «عَمَّا نُؤْيِلُ» الذي تفسيره: «الله مَعَنَا». «! غربة كلية عن الله، والآن معية كلية مع الله!

« وَأَعْدَاءَ فِي الْفِكْرِ، فِي الْأَعْمَالِ الشَّرِّيةِ »: «مَحَبَّةُ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ» (يع ٤: ٤) و«اهْتِمَامُ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ» (رو ٨: ٧). فكل من يعمل الشر يغيظ قلب الله: «أَعَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ» (إر ٨: ١٩)، وهكذا يدخل في حالة عداوة مع الله.

واحتمل الله كل هذه العداوة لأجيال طويلة إلى أن وُلِدَ رئيس السلام: «لأنه يُؤَلِّدُ لَنَا وَلَدًا وَتُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّبَاسَةُ عَلَى كَيْفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجَبِيًّا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبَا أَبَدِيًّا، رَبِّيسَ السَّلَامِ». (إش ٩: ٦).



« ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رَثُوا الْمُلْكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. » (مت ٢٥: ٣٤)

لاحظوا كيف تمت المصالحة: «وَأَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا أَجَنِبِينَ وَأَعْدَاءَ فِي الْفِكْرِ، فِي الْأَعْمَالِ الشَّرِّيةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ الْآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ...» (كو ١: ٢١ و ٢٢). المصالحة تمت في جسم بشريته، يعني في جسم المولود في يوم الميلاد. لذلك فيوم الميلاد يوم فاصل بين الغربة الكلية والقرى الكلية «الاتحاد».

فالمصالحة تمت بتجسده في يوم ميلاده، تمت المصالحة للجميع بلا استثناء وهي لا تحتاج من الإنسان إلا أن يؤمن بيسوع لتتم المصالحة الكلية وتتغني العداوة وشبه العداوة، وتصير المعية الكلية حتى إلى

عِظَة: عن قتل الأطفال والرجوع من مصر

للقديس

يوحنا الذهبي الفم



١- لم يكن جديراً بهيرودس أن يغضب بل أن يرتعش ويعتدل ويدرك أنه يُقدم على أمورٍ لا قبل له على إتمامها. غير أنه لم يحبس عنان نفسه لأن النفس متى كانت غبية ولا يُرجى بُرؤها لا ينفعها الدواء الذي يعطيه الله نفسه. فانظر إلى هذا الملك كيف يصبر على أعماله الأولى واصلاً جناية بجناية ومندفعاً إلى الهاوية في كل مكان. وإذا أصبح كأن شيطان الغضب والحسد قد لعب في رأسه فلا يحسب لشيء حساباً بل يثور ضد الطبيعة نفسها. وهذا الغضب الذي يزفر في صدره على المجوس الذين خدعوه يصبُّ جامه على الصبيان الأبرياء مجدداً في فلسطين تلك المأساة التي جرت وقائعها في مصر لأنه «أُرْسِلَ وَقَتْلَ جَمِيعِ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ ثُغْمَةٍ، مِنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونَ، بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ». أعيروني هنا أذنًا صاغية. إن كثيرين يفرطون في الكلام عن هؤلاء الصبيان زاعمين أن في هذه الحوادث ظلمًا. فطائفة منهم يحارون رافةً بهم، وطائفة أخرى تأخذهم نوبة السخط والحمق. فلكي ننقذ الطائفة الثانية من جنونها، والأولى من حيرتها اصبروا قليلاً على ما نقوله لكم في هذا الصدد. فاذا ما اتحموا العناية الإلهية بأنهم لم تبالِ بأمر قتل الصبيان فبوسعهم أن يتهموها أيضاً بقتل الجنود الذين كانوا يحرسون بطرس. لأنه كما ان الصبي لما هرب يومئذٍ إلى مصر لاقى آخرون حتفهم مكانه. كذلك حينما أخرج الملاك بطرس من السجن ونزع عنه السلاسل بحيث سُمِّيَ ذلك الطاغية وشبيهه في خلقه عن السجن، وإذا لم يجده قتل مكانه الجنود الذين كانوا يحرسونه. تقولون ما هذا الجواب؟ انه لا يحل المسألة بل هو إضافة تزيدها تعقيداً. اني أعلم هذا أيضاً ولأجل ذلك أبرز الأمور المتشابهة كلها في آنٍ واحد واجعل لها كلها حلاً واحداً. وما هو حُلُّها؟ وأي قول مقبول نستطيع أن نقول؟ نقول أن المسيح لم يكن السبب في قتل أولئك الصبيان، بل قسوة الملك. كما لم يكن بطرس سبب قتل أولئك الجنود بل عتته هيرودس. لأن هذا الطاغية لو رأى في الجدار ثغرة أو شاهد الأبواب مفتوحة لأمكنه أن

يَتَّهَم الجنود الذين كانوا يحرسون الرسول. أما وقد كان كل شيء على حالته إذ كانت الأبواب لا تزال مغلقة والسلاسل مشدودة إلى أيدي الحراس لأن السجين كان مقيداً، فقد كان بوسعه أن يستنتج من ذلك، لو عدل في حكمه على الحوادث، انه لم يكن هنالك أمر بشري ولا تواطؤ بين السجين والحراس، بل قوة إلهية عجيبة. وحينئذٍ كان يجب عليه أن يسجد لصانع تلك الآيات بدل أن يشهر حرباً ضد الحراس الأبرياء. وقد صنع الله كل ما صنع لا لينقذ الحراس فقط بل ليهدي بهم الملك إلى الحقيقة. فإذا كان هذا الملك جحوداً فليس ذلك ذنب طيب النفوس الحكيم الذي لم يدع وسيلة ليصلح بها ما فسد من خلق هذا المرض. فيجب أن نقول الشيء نفسه عن أمر الصبيان- فلماذا تحقن يا هيرودس إذا كان المجوس سخروا بك؟ ألم تعلم أن المولود كان إلهياً؟ ألم تدع أنت نفسك رؤساء الكهنة؟ ألم تجمع علماء الناموس؟ ألم يوضحوا أمام ديوانك النبوءة التي أخبرت من قبل عن هذه الحوادث؟ ألم تر الأمور القديمة تنطبق على الأمور الحديثة؟ ألم تسمع أنَّ نجماً نبتت النبوءة؟ ألم تحترم غيرة البرابرة؟ ألم تدهش لجرأتهم وثبات عزمهم؟ ألم يرهبك أن النبوءة قد صدقت؟ ألم تدرك النهاية من البداية؟ فلماذا لم تستخلص بذاتك من كافة هذه الأمور أنَّ ما جرى لك مع المجوس لم يكن خدعة منهم إنما كان فعل قدرة إلهية قد دبّرت كل ما يجب أن يكون؟ وهَبْ أن المجوس قد خدعوك فلماذا قتلت الصبيان ولا جناح عليهم؟

٢- إنكم تقولون نعم لقد أصبت وأفحمت هيرودس وأوضحته أنه قاتل لا يبرأ من اللوم، ولكنك لم تحلّ الاعتراض بعد على الفعل ذاته من حيث هو ظلم. فإذا كان هذا الرجل ظالماً فلماذا سمح الله بالظلم؟ بماذا أُجيب على ذلك؟ أُجيب بما لم أفنأ أقول في الكنيسة وفي كل مكان وهو ما أريد أن تحرصوا عليه كل الحرص. لأنه يوجد قاعدة عامة تنطبق على كل صعوبة تعرض لنا مثل هذه. وما هي القاعدة وما هو الحل؟ إن كثيرين يظلمون ولا أحد يطبق الظلم. فلكي لا يقلقكم هذا الغز أبادر إلى حله. إنَّ ما نعانيه ظلمًا من

في أمور هي على غاية من الغموض والدقة لنتمسك نحن بما سبسط لكم فيما يلي ولنتعلم من مصائب غيرنا أن نتحمل بالصبر (لأن المأساة التي اجتاحت يومئذ بيت لحم ليست أمراً ضئيلاً إذ الصبيان اشرعوا من ثديي أمهاتهم وأخذوا إلى تلك المجزرة الجائرة). فإذا كانت نفسك في منتهى الضعف، وتقصّر عن بلوغ هذه الفلسفة السامية، لتكن نهاية هذه الجنايات على الأقل عبرة لك، وخفف من نفسك بعض الشيء، لأن الانتقام لم يلبث أن حلّ بـهـيـرودس، وأنزل به أشد العقوبة جزاء ما قدّمت يده إذ مُني بموت شنيع يدعو إلى الرثاء ترافقه ألوف من الويلات، الشيء الذي بوسعك أن تتحققه إذا طالعت كتاب **يوسيفوس المؤرخ**، هذا الكتاب الذي لا آتي على تفاصيله هنا لثلا نطيل عليكم هذا الخطاب أو نقطع اتصال سلكه.

«**حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِزْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: ١٨ «صَوْتُ سَمِعَ فِي الرَّأْمَةِ، تَوَخَّ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ رَاحِلٌ تَبْكِي عَلَى أَوْلَادِهَا وَلَا تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ» (ارميا ٣١: ١٥).** فالإنجلي إذاً ملأ قلوب مستمعيه فرحاً إذ وصف لهم تلك المجزرة الهائلة الظالمة الوحشية الأثيمة. فهو يعود يعزيهم قائلاً أن تلك الحوادث لم تتم ضد قدرة الله وبغير علمه بل سبق فعرفها وأخبر عنها بواسطة نبيّه. فلا تضطرب ولا تهنّ عزيمتك بل بالحري حوّل بصرك إلى عنايته التي يتعذّر وصفها، والتي تبدو خصوصاً سواء في ما يفعل أو في ما يسمح به. وهذا ما عبّر عنه هو نفسه في محل آخر إذ كان يتحدث إلى تلاميذه لما سبق فأعلن لهم أنهم سيسلمون إلى المحافل ويُقادون إلى الموت وان العالم سيغضهم ويصليهم حرباً لا هدنة فيها. فكان ليَقْوِي عزائمهم ويعزّي نفوسهم قائلاً: «**أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفِلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لَا يَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاءَاتِ**» (متى ١٠: ٣٩). فكان يقول لهم ذلك مبيناً أنه لا يتم شيء هو جاهله، لكنه يعلم كل شيء ويفعل كل شيء. فهو يقول لا تضطربوا ولا تقلقوا لأن الذي يعلم ما تعانونه ويستطيع منعه، لا يمنعه لأنه يدرك استعدادكم ويعتني بكم، الأمر الذي يجب أن نفكر به إبّان المِحْن.

وقائل أي شركة لراحيل مع بيت لحم؟ وربما يسأل أحد أيضاً ما محلّ هذا القول: «**رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلَادِهَا**» وأي شركة للرامة مع راحيل؟ كانت راحيل أم بنيامين ولما ماتت دُفنت في مرمح سبق الخيل بجوار هذه البلدة. فلما كان قبرها قريباً وداخلاً في نصيب ابنها بنيامين (لأن الرامة كانت في قبيلة بنيامين) كان الإنجلي على صواب إذ يدعو الصبيان المقتولين بني راحيل نظراً إلى رئيس القبيلة وإلى مكان قبر أمّه. ثم بعد إذ يبين أن ذلك الجرح كان بليغاً لا يبرأ يقول: «**وَلَا تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ**». إن ذلك يعلمنا أيضاً ما كنت أقول لكم فُيِّل هذا وهو أن لا تضطرب حينما يحلّ بنا ما يخالف وعد الله. فذاك الذي جاء لخلاص شعبه بل لخلاص العالم ماذا كانت أوائله: أمه تلجأ إلى الهرب، وطنه يقع في شذائد لا يمكن التغلب عليها، واجترأ فيه على قتل أشد مرارة من كل قتل، بكاء وعويل كثير ونحيب في كل مكان. لكن لا تقلق لأن

أيّ كان من الناس يحسبه الله إما للتكفير عن خطايانا أو لزيادة أجرنا فتوضيحا لهذه القضية أُقدّم لكم مثلاً: لنفرض أن عبداً مدين بمال كثير لسيده وان هذا العبد اعتدى عليه أناسٌ أشرار فسُلب قسمٌ كبيرٌ من مقتنياته، فلو ان سيده القادر على صدّ السالب الطمّاع لم يستوف ماله ذاك، وحسب الأشياء المسلوقة ممّا يلتزم به العبد نحوه فهل يكون هذا العبد مظلوماً؟ كلا. وما قولك لو عوّض عليه بأكثر مما فقد؟ أفلم يربح ربّحاً عظيماً؟ إن ذلك لأمر مبين. فلنعتقد أن الأمر نفسه يكون لنا ممّا نعانیه نحن أيضاً. إننا لأجل ما ينالنا من الأذى إمّا نكفر عن خطايانا وإمّا نحرز أكاليل بَرَاقَة إذا لم نكن مثقلين بالخطايا. هذا اسمعوه من بولس حيث وجّه كلامه نحو الزاني قائلاً: «**أَنْ يُسَلَّمَ مِثْلُ هَذَا لِلشَّيْطَانِ لِهُلَاكِ الْجَسَدِ، لِكَيْ تَخْلَصَ الرُّوحُ**». (١ كورنثس ٥: ٥). وربما تقولون وأي علاقة هنا بهذا النص؟ كان الكلام يدور حول الأضرار التي تلحق بنا من سوانا لا على ما يصلحنا به مؤدبوننا. نعم ليس هذا مدار البحث بل كان البحث عمّا إذا كان تحمل الأذى لا يضرّ بمن يتحمّله. لكن لكي أسوق كلامي إلى ما هو أقرب إلى موضوع البحث، تذكّر داود الذي حينما أبصر يومئذ شمعي يسير في أثره ويعيره بمصائبه ويقذفه بشتى الشتائم. ردّ جماع قوّاده الذين كانوا يريدون القضاء عليه. وقال لهم: «**دَعُوهُ يَلْعَن، لِأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُ ذَلِكَ. لَعَلَّ الرَّبَّ يَنْظُرَ إِلَى مَذَلِّي وَيَجْزِيَنِي الرَّبُّ خَيْرًا عَنْ لَعْنِ هَذَا لِي الْيَوْمَ**» (٢ ملوك ١٦: ١١ و١٢). وكان يقول منشداً في أحد مزاميره: «**انْظُرْ إِلَى ذُلِّي وَتَعَبِي، وَاغْفِرْ جَمِيعَ خَطَايَايَ. انْظُرْ إِلَى أَعْدَائِي لِأَنَّهُمْ قَدْ كَثُرُوا، وَبُغْضًا ظُلْمًا أَبْغَضُونِي**». (زمور ٢٤: ١٨ و١٩). وان لعازر يتمتع براحة أبدية لأنه تحمّل عذاباً كثيراً في هذه الحياة. فالذين يبدو أنهم مهانون لا يكونون كذلك إذا ما احتملوا النائبات بثبات جنان لأنهم يجنون منها نفعاً كبيراً سواء أ جاءت الضربة من الله أم من الشيطان. - ولعلكم تقولون أية خطيئة ارتكبها الصبيان ليكفروا عنها؟ إن هذا الجواب ينطبق على الذين هم في عمر ارتكبوا فيه خطايا كثيرة فهذا أمر معروف. أما الذين لا يزالون في صباهم فعن أي خطايا كثيرة يكفرون بهذه النوائب؟ أما سمعتموني أقول أن الأجر يُراد لمن يتحمّلونها إن لم يكونوا مثقلين بالخطايا؟

فأيّ ضررٍ إذاً لحق بمؤلاء الصبيان الذين قُتلوا لأجل هذه القضية ودخلوا سريعاً إلى الميناء الهادئ؟ قد تقولون أيضاً أنهم كانوا يستطيعون أن يحوزوا أجوراً كثيرة لو أمّد الله بعمرهم. لكن ليس بالشيء القليل ما استحق لهم موتهم من الأجور لأجل قضية مثل هذه. وإلاّ لما سمح الله أن تنتزعهم المنون لو قُيِّضَ لهم فيما بعد أن يكونوا رجالاً عظاماً. إذا كان يحتمل بطول أناته أولئك الذين تنقضي حياتهم في الإثم فانه بالأحرى لا يسمح بأن يهلك أولئك الصبيان قبل الأوان لو كانوا أُعِدُّوا لأعمال خطيرة.

٣- هذه هي بعض الأسباب التي لدينا لا كلها إنما يوجد غيرها بعيدة المنال يعلم بها ذاك الذي يدبّر هذه الأمور. فاجتنباً للخوض

الله يروق له دائماً أن تتم تدابيرها بما يناقضها إذ يعطينا بذلك دليلاً قاطعاً على قدرته. على هذا النحو هدّب تلاميذه وأعدّهم ليحسنوا العمل في كل شيء مدبراً الضدّ بال ضدّ لتكون الأعجوبة أعظم وأبين. حتى إذا ما جلدوا هم أيضاً وطردوا وتحملوا ضروب الشدائد ينتصرون على جلاديهم وطارديهم.

٤- «فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلَاكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلُمِ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ قَائِلًا: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْجُبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ»». لم يعد يقول اهرب بل اذهب. أترى الراحة تعود بعد الشدّة؟ ثم الخطر بعد الراحة؟ لأن المسيح بعد عودته من المنفى إلى بلاده وجد أن قاتل الصبيان قُتل، إلا أنه بعد عودته هذه وجد بقايا الأخطار السالفة إذ كان ابن الطاغية لا يزال حيّاً ومالِكًا. وكيف كان يملك أركيلاوس على اليهودية بينما كان بيلاطس البنطي واليًا عليها؟ إن وفاة هيرودس كانت قريبة العهد ولم تكن المملكة قد تجزأت بعد. لكن لما قضى ذلك الملك أجله لم يلبث ابنه أن ملك مكان هيرودس أبيه لأن أركيلاوس كان له أخ اسمه هيرودس وكان يملك على الجليل. لهذا السبب أعقب الإنجيلي «مكان هيرودس أبيه». فإذا كان المسيح يخاف أن يقيم في اليهودية بسبب أركيلاوس فكان ينبغي أن يخاف أيضًا أن يقيم في الجليل بسبب هيرودس. فلكني يخفي خبره كان عليه أن يغيّر مقامه لأن الطغيان كان على أشده ضد بيت لحم وتخومها. فبعد وقوع المذبحة خيّل إلى أركيلاوس ابن السفاح أن كل شيء قد انتهى وإن الصبي المطلوب قُتل بين الكثيرين. ولما رأى من ناحية أخرى، أن أباه قد أنهى حياته على ذلك النحو، أصبح يتورّع من التمادي في مخالفة الشريعة والنضال ضدها. فجاء يوسف إلى الناصرة إمّا هربًا من الخطر وإمّا حبًا لوطنه. فلكني يزداد اطمئنانًا يتقبل من الملاك إشارة بهذا الخصوص. بيد أن لوقا لا يقول ذهب بإشارة إلى هناك بل انه بعد تتميم كافة مراسيم التطهير رجع إلى الناصرة. فماذا يعني هذا القول؟ إن لوقا يقول هذا مخبرًا عن الزمن الذي سبق الانحدار إلى مصر لأن يوسف لم يذهب بهما إلى هناك قبل التطهير. إذ لا يتم شيء مخالف للناموس بل يبقى لتمام مراسيم التطهير ويذهب إلى الناصرة وأنداك ينزل إلى مصر. ثم بعد مغادرتهم هذه البلاد يأمرهم الملاك بالرجوع إلى الناصرة. وفي المرة الأولى لم يشير إليه الملاك بالحيء إليها بل فعلوا ذلك من تلقاء ذاتهم رغبة في الإقامة في وطنهم وبما اتحما لم يصعدا إلى بيت لحم لسبب آخر إلا للاكتتاب فضلًا عن أنه لم يكن لهما هنالك منزل يقيمون فيه، فبعد أن أمّا ما صعدا لأجله عادا إلى الناصرة.

فلأجل تلك الأسباب إذا يُهدّئ الملاك روعهم ويعيدهم من مصر إلى منزلهم ولم يفعل ذلك عبثًا بل لكي يتم المقول بالأنبياء «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا». وأي نبي قال هذا؟ لا تسأل ولا تبحث بلا جدوى. ان كثيرًا من الكتب النبوية قد فقدت كما يمكن أن يلاحظ في تاريخ سفر الأيام. لأن اليهود بسبب إهمالهم وسقوطهم أكثر الأحيان في هاوية الكفر فقدوا بعضها وأحرقوا هم أنفسهم أو قطعوا البعض الآخر. واربما يخبرنا عن أحد تلك الأشياء، ويخبرنا عن بقية

الكتاب الرابع من سفر الملوك إذ يقول: ان تثنية الاشتراع المفقود والمُخفى في أحد الأماكن لم يعثر عليه إلا بعد مشقة كبيرة وزمن طويل. فان كانوا يهتمون كتبهم هكذا وليس من بربري بينهم فبالأحرى كثيرًا لَمَّا غزاها البرابرة.

ثم بما أن الأنبياء سبقوا فتكلموا عن ذلك كان الرسل يدعونه في أكثر الأحيان ناصريًا. قد يقول أحدكم أن ذلك يبهّم النبوة المختصة ببيت لحم. لا لعمرى أن الغاية من ذلك تنبيه الناس وحفزهم إلى البحث عما يقال عن المسيح. هكذا يقبل نثنائيل مستخبرًا عنه: «أَمِنْ النَّاصِرَةِ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟» (يو ١٠: ٤٦). وفي الواقع إن تلك الناحية كانت حقيرة أو بالحري ليس تلك الناحية وحدها بل أيضًا نواحي الجليل كلها. لذلك كان يقول الفريسيون: «فَتَشْ وَانْظُرْ! إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ نَبِيٌّ مِنَ الْجَلِيلِ» (يوحنا ٧: ٥٢). ومع ذلك هو لم يأنف أن ينتسب إلى وطنه. مبيّنًا من ثم أنه لا يحتاج إلى معونة البشر وانه يختار تلاميذه أنفسهم من الجليل مفتدًا حجاج الذين يميلون إلى الكنيسة ومبيّنًا في الوقت نفسه أن الأشياء الخارجية ليست ضرورية لنا. لهذا السبب لم يتخذ له منزلًا فهو نفسه يقول «أَمَّا ابْنُ الْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ» (لوقا ٩: ٥٨). ولهذا السبب نفسه هرب لما تآمر عليه هيرودس، ولما ولد واضجع في مذود، ولما لزم مقرّه اتخذ له أمّا فقيرة، معلمًا إيانا بذلك كله ألا نذري بشيء وانه داس الكبرياء البشرية منذ الأوائل ودعانا إلى التمسك بأهداب الفضيلة وحدها.

٥- فيبدو أنه يقول لنا: ما بالك تفاخر في وطنك حينما أدعوك لتكون غريبًا على وجه الأرض، حينما يكون بوسعك أن تكون بحيث لا يكون العالم كله جديرًا بك. لأن الأشياء الأرضية هي من الهوان بحيث لم تستحق كلمة من فلاسفة اليونان وليس لها في نظرهم سوى المقام الأخير. أما بولس فلا يأبأها لأنه يقول: «مِنْ جِهَةِ الْإِنْجِيلِ هُمْ أَعْدَاءُ مِنْ أَجْلِكُمْ، وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْاخْتِيَارِ فَهُمْ أَحِبَّاءُ مِنْ أَجْلِ الْآبَاءِ» (رومة ١١: ٢٨). ولكن قل لي متى ولمن يوجه الرسول كلامه وبالأحرى من يخص به؟ إنه يوجه كلامه إلى الذين معجّبين بإيمانهم من الأمم الذين كانوا يحتقرون اليهود ويقاطعونهم فكان يريد أن يُطمئن من كبر أولئك ويجذب إليه هؤلاء كثيرًا في الجميع شعورًا واحدًا. وحينما يتكلم عن أولئك الرجال الكرام رجال العهد القديم، اسمع كيف يصفهم: «إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذَا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ وَطَنًا. فَلَوْ ذَكَرُوا ذَلِكَ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، لَكَانَ لَهُمْ قَرَصَةٌ لِلرُّجُوعِ. وَلَكِنْ الْآنَ يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ» (عبرانيين ١١: ١٤). وقد قال قبل هذا: «فِي الْإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلَاءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَتَأَلَوْا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوا وَصَدَّقُوا وَعَاقِبَتَهَا» (عبرانيين ١١: ١٣). ويوحنا كان يقول للذين يقبلون إليه: «وَلَا تَجْعَلُوا تَقُولُونَ أَنْ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ» (لوقا ٣: ٨). وبولس يقول أيضًا في هذا الصدد: «لَأَنَّ لَيْسَ جَمِيعَ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلَيْسَ أَوْلَادُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلَادُ اللَّهِ» (رومة ٩: ٦).

أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ



لِلْقَدِيسِ يوحنا الذهبي الفم

لنتأمل معًا كيف أن كُلاً من **النبي إشعياء والسابق يوحنا المعمدان** يوصِّلان لنا نفس الرسالة، رغم أنهما لا يستخدمان نفس التعبيرات، **فالنبي** يسبق فينبئنا أنه لا بدَّ سيأتي المسيح، فيقول: «**أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً**». أما **السابق يوحنا المعمدان** فعندما أتى، بدأ رسالته قائلاً: «**اصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيْقُ بِالتَّوْبَةِ**». وهذه الدعوة لها نفس المعنى تماماً مثل: «**أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ**». فكلُّ ما قيل **بالنبي أو بالمعمدان**، فهو يعني نفس الأمر. إن السابق أتى لكي يُعدَّ الطريق لا أن يقدم للناس عطية المغفرة، بل بالحري ليعدَّ نفوس أولئك الذين سينالون هبة الهبات.



القديس الشهيد يوحنا المعمدان (السابق - الصابغ - نبي العهدين)

كهنوتية. ويستدل من (لوقا ١: ٢٦) أن ولادته كانت قبل ولادة المسيح بستة أشهر. وقد عينت الكنيسة يوم ميلاده في ٢٤ حزيران **الواقع في ٧ تموز شرقي**، أي عندما يأخذ النهار في النقصان، وعيد **ميلاد المسيح في ٢٥ كانون الأول**، أي عندما يأخذ النهار

في اللغة اليونانية *Αγίου Ιωάννη του Προδρόμου*
في اللغة الإنجليزية: *John the Baptist*
هو مُهيئ طريق المسيح، وابن زكريا الشيخ وزوجته أليصابات (لو ١: ٥ - ٢٥ و ٥٧ - ٨٥). وكلاهما من نسل هارون ومن عشيرة



في الزيادة استنادًا على قوله: «يُبْنِغِي أَنْ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَيُّ أَنَا أَنْقُصُ» (يو ٣: ٣٠). وكان أبواه يسكنان اليهودية، وربما يوطه، يطا الحاضرة بقرب حبرون، مدينة الكهنة. وكانا محرومين من بركة النسل. وكانت صلاتهما الحارة إلى الله أن ينعم عليهما بولد. وفي ذات يوم، إذ كان زكريا يقوم بخدمة البخور في الهيكل، ظهر له الملاك جبرائيل وسَكَّنَ من روعه، وأعلمه بأن الله قد استجاب صلاته وصلاة زوجته، وبدأت الاستجابة مستحيلة في أعينهما وادين البشر بالنسبة إلى سنهما. وأعطاه الملاك الاسم الذي يجب أن يسمى الصبي به متى وُلِدَ، وأعلن له أن ابنه سيكون سبب فرح وابتهاج، ليس لوالديه فحسب، بل أيضًا لكثيرين غيرهما، وأنه سيكون عظيمًا، ليس في أعين الناس فقط، بل أمام الله. وأن مصدر عظمتة الشخصية هو امتلاؤه من الروح القدس، ومصدر عظمتة الوظيفية في أنه سيكون مهيمًا طريق الرب، وزاد الملاك ما هو أعظم من ذلك أي أن يوحنا يكون المبشر بظهور المسيح الموعود. فيتقدم أمامه متممًا النبوة التي كان يتوق إليها كل يهودي بأن إيليا يأتي قدام المسيح، ويهيء للرب شعبًا مستعدًا (مل ٤: ٥ و ٦ ومت ١١: ١٤ و ١٧: ١ - ١٣).

أما زكريا فلم يصدق هذه البشارة لأن الموانع الطبيعية كانت أبعد من أن يتصورها العقل. ولم يكن معذورًا لأنه كان يعلم جيدًا ببشائر نظيرها، لاسيما بشارة الملاك للشيخين إبراهيم وسارة. ولهذا ضُربَ بالصَّمَمِ والخرس إلى أن تمت البشارة.

ولد القديس يوحنا سنة ٥ ق.م. وتقول التقاليد أنه وُلِدَ في قرية عين كارم المتصلة بأورشليم من الجنوب (لو ١: ٣٩). ولسنا نعلم إلا القليل عن حياته. ونراه في رجولته ناسكًا زاهدًا، ساعيًا لإخضاع نفسه والسيطرة عليها بالصوم والتذل، حاذيًا حذو إيليا النبي في ارتداء عباءة من وبر الإبل، شاذًا على حقويه منطقة من جلد، ومغتذيًا بطعام المستجدي من جراد وعسل بري، مبكئًا الناس على خطاياهم، وداعيًا إياهم للتوبة، لأن المسيح قادم. ولا شك أن والده الشيخ قد روى له رسالة الملاك التي تلقاها عن مولده وقوله عنه «وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحٍ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ» (لو ١: ١٧).

والتقارب بين ما نادى به إيليا وما نادى به يوحنا والتشابه في مظهرهما الخارجي ولبسهما ومعيشتهما واضح للعيان من مقارنة قصة حياتهما.

ولم يظن يوحنا عن نفسه انه شيء وقال انه: «صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ» (يو ١: ١٣). وكرس حياته للإصلاح الديني والاجتماعي. وبدأ كرازته في سنة ٢٦ ب.م. وعلى الأرجح في السنة السبئية مما مَكَّنَ الشعب الذي كان منقطعًا عن العمل من الذهاب إليه إلى غور الأردن. وقد شهد في كرازته أن يسوع هو المسيح (يو ١: ١٥)، وأنه حمل الله (يو ١: ٢٩ و ٣٦). وكان يعمد التائبين بعد أن يعترفوا بخطاياهم في نهر الأردن. (لو ٣: ٢ - ١٤). وكانت المعمودية اليهودية تقوم:

(١) بالغسولات والتطهيرات الشعبية (لا ١١: ٤٠ و ١٣: ٥٥ -

٥٨ و ١٤: ٨ و ١٥: ٢٧ وار ٣٣: ٢٨ و ٢٢: ٣٦ و ٢٥: ٢٥) فاضفى يوحنا عليهما معنى أدبيًا (مت ٣: ٢ و ٦) وعمَّق معناها الروحي.

(٢) بإدخال المهتدين إلى الدين اليهودي. فأصر يوحنا على ضرورة تعميد الجميع بصرف النظر عن جنسهم وطبقتهم (مت ٣: ٩). إذ على الجميع أن يتوبوا ليهربوا من الغضب الآتي (مت ٣: ٧ ولو ٣: ٧). لان معمودية المسيا الآتي ستحمل معها دينونة (مت ٣: ١٢) و (لو ٣: ١٧)، وقد طلب يسوع أن يعمده يوحنا، لا لأنه كان محتاجًا إلى التوبة، بل ليقدم بذلك الدليل على اندماجه في الجنس البشري وصورته أخًا للجميع.

وكانت المدة التي عمل فيها يوحنا قصيرة ولكن نجاحه بين الشعب كان باهرًا. وحوالي نهاية سنة ٢٧ أو مطلع سنة ٢٨ ب.م. أمر هيروودس انتيباس رئيس الربع بزجه في السجن لأنه وبَّخه على فجوره (لو ٣: ١٩ و ٢٠).

وكانت هيرووديا زوجة هيروودس قد خانت عهد زوجها الاول وحبكت حبال دسيسة ضده مع أخيه هيروودس. وقد سمعت بذلك زوجة هيروودس الفتاة العربية فهربت إلى بيت أبيها الحارث وأخلت مكانها في القصر لهيرووديا الخائنة التي حنقت على يوحنا وكبت غيظها وَخَيَّتِ الفرصة للإيقاع به لأنه قال لهيروودس بأنه لا يحق له أن يتزوجها. وفي السجن اضطرب يوحنا ونَفَدَ صبره بسبب بطء

المسيح في عمله. ولربما أحس بأن المسيح نسيه وإلا لماذا لا يسعفه في الظلم الذي لحق به كما يسعف الآخرين. وطغت على أعصابه عوامل الوحشة والوحدة والقيود لأنه كان يتربح حدوث أحداث جسام وأراد أن يرى قبل موته تحقيق أحلام حياته. وبعث تلميذين ليستعلم من يسوع أن كان هو المسيح وأشار يسوع إلى معجزاته وتبشير (لو ٧: ١٨ - ٢٣).

وكانت قلعة مخيروس المطلة على مياه البحر الميت والتي رُجَّحَ يوحنا في إحدى خباياها، كافية لكسر قلب الرجل الجريء الذي نادى بقوله الحق في وجه الفريسيين والكهنة وأعطى للزنى اسمه الحقيقي، ولو أن الزاني كان ملكاً عظيماً. وبعد ثلاثة أشهر يحل عيد هيردوس وإذا بهيروديا ترسل ابنتها الجميلة سالومة لتؤانس ضيوف الملك وسط المجون والخلاعة ورنين الكؤوس. واذ بهيرودس الثمل ينتشي برقصها المثير فيقسم أمام ضيوفه بأن يعطيها ما تطلب فتطلب، حسب رغبة أمها، رأس يوحنا على طبق. وبعد لحظات يهوي الجلال بسيفه على

عنق الرجل العظيم. ولم يُترك جثمانه دون كرامة، لأن تلاميذه جاؤوا حالاً ورفعوه ودفنوه.

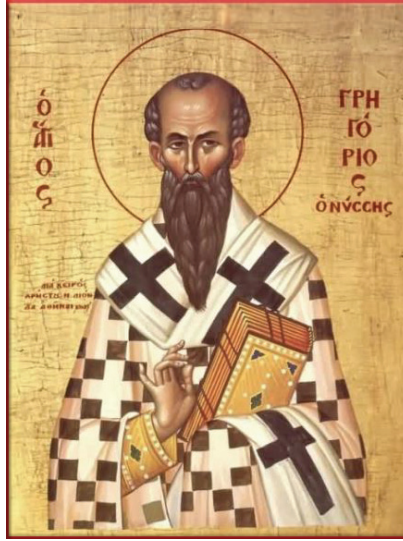
يقول القديس جيروم أنهم حملوه إلى سبسطيا عاصمة السامرة ودفنوه هناك بجانب ضريح الإشع وعوبديا. أما تلاميذه فتذكروا شهادة معلمهم عن حمل الله وتبعوا المسيح (مت ١٤: ٣ - ١٢ ومر ٦: ١٦-٢٩ ولو ٣: ١٩ و ٢٠). ويقول يوسفوس المؤرخ اليهودي، أن الهزيمة النكراء التي لحقت الحارث بهيرودس بعد ذلك التاريخ كانت جزاءً ودينونة إلهية نزلت به بسبب شره (تاريخ يوسفوس (١٨ و ٥٠).

وحسب يوحنا أن المسيح شهد فيه أعظم شهادة إذ قال: «لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمُؤَلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ» (مت ١١: ١١). وفي افسس وجد بولس أناساً قد تعمّدوا بمعمودية يوحنا (اع ١٩: ٣). وظن بعضهم أنه كان للأسسنيين في قمران بالبرية تأثير على يوحنا المعمدان.

أعظم مواليد النساء - القديس غريغوريوس النيسي

فيه قد أعلنت وانكشفت من خلال ذلك الذي يرى الأسرار، كأعظم من جميع الأنبياء.

كان هذا بالحقيقة هكذا، من البداية إلى النهاية، لأن كليهما قد قدّسا قلوبهما للرب، حتى أنهما لم يتلوثا بأية أهواء أرضية، لأنه لم يخالط حبهما لله محبة زوجة أو طفل أو أي نداء بشري آخر، بل لم يحسبوا حتى قوتهم اليومي مستحقاً للتفكير أو القلق. إذ أظهروا أنفسهم أنهما أكثر أهمية من أي ملابس فاخرة، وتدبروا بما قدمته إليهما المصادفة، أحدهما كان يلبس جلود معزى، والآخر كان



يلبس من وبر الأبل.

أنني أعتقد أن روحهما ما كانتا تصلان إلى هذه الدرجة الرفيعة، لو أن زواجهما أضفى عليهما ليونته.

إن هذا ليس مجرد سرد للتاريخ، بل هذا كُتِبَ لإلذارنا نحن (١ كو ١٠: ١١)، لكي ما نوجه حياتنا بحياتهم.

فماذا نتعلمه إذن؟ نتعلم أن الإنسان الذي يشترك للاتحاد بالله، يجب عليه أن يُحرَّرَ ذهنه - مثل هذين القديسين - من كل الاهتمامات العالمية، لأنه مستحيل على الذهن المشتت في أمور كثيرة أن يجد طريقة إلى معرفة ومحبة الله.

على ما أعتقد أن هذا هو سر عظمة إيليا، ومَن جاء بعده بروح إيليا وقوته، الذي «لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمُؤَلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ» (مت ١١: ١٢). إن كان تاريخ حياتهما يعطي دروساً كثيرة، فمن المؤكد أن الذي نتعلمه قبل كل شيء هو نمط. فالإنسان الذي ثبتت أفكاره على ما لا يُرى، ينفصل بالضرورة عن كل نشاطات الحياة العادية، ولا يمكن تشويش أحكامه عن الصلاح الحقيقي وتضليلها، بالخداع الذي ينشأ من الحواس.

كلاهما عزل ذاته من صباه عن المجتمع البشري، وبصورة ما عن الطبيعة البشرية، بتجاهلها للأنواع المعتادة من الطعام والشراب، وتغربهما في البرية. لقد أشبعوا حاجتهما بالغذاء الذي صادفهما في طريقهما، حتى تبقى حاسة التذوق لديهما بسيطة وغير مدللة. وإذ تحرّرت أذنيهما من كل ضجيج مشوش، وأعينهما من كل نظرات زائغة، بلغوا إلى حالة صفاء للنفس لا تتعكر، ووصلوا إلى ذلك العلو من الإستحسان الإلهي، الذي سجله لنا الكتاب المقدس عن كل منهما.

فقد صار إيليا مثلاً هو الموزع لنعم الله الأرضية، فكان له سلطان أن يغلق - كما يريد - السماء ضد الخطاة، وأن يفتحها للتائبين. وبالفعل، لم يُقَلَّ عن يوحنا أنه صنع أية معجزة، ولكن الموهبة التي

انسكاب الروح القدس



للقديس كيرلس الإسكندري

« وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَّبَعُنِي بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَخْلَعُونَ شُيُوخُكُمْ أَحْلَامًا، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤْيًى. وَعَلَى الْعَبِيدِ أَيْضًا وَعَلَى الْإِمَاءِ أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ».

يَعِدُ الرب بشكل واضح عطية أنسكاب الروح القدس بغزارة، ليس بشكل أنتقائي على نبي واحد أو اثنين، بل من دون تمييز، على جميع المستحقين الحصول عليها، الأمر الذي تحقق بقيامة المسيح والانتصار على قوة الموت. في الواقع، لقد منح مثل هذه النعمة الحليمة والجديرة بالثناء لتلاميذه القديسين كباكورة، عندما نفخ في وجوههم قائلاً: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ» (يو ٢٢: ٢٠). كما ترون، كان من الضروري لمرشدي الكنيسة الروحيين ومعلمي المستقبل لكل العالم تحت الشمس، أن يتزينوا قبل الجميع بعطية الروح القدس، ومثل الثمار الأولى أن يتحلوا بالنعمة الإلهية من السماء كمدعوين إلى القداسة من خلال الإيمان.

في يوم عيد العنصرة، عندما كان التلاميذ مجتمعين في منزل واحد، لتقديم الصلوات المعتادة إلى الله، «صَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتُ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلَأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُتَقَسِّمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلِلسَةٍ

أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطَلِقُوا» (أع ٢). لقد أعطوا أن ينطقوا بنبوءة وفهم وترديد للشهادات الخاصة بالسيد المسيح من الأنبياء القديسين، والتي لعلها مقصودٌ بها أن تُحضر المستمعين إلى الطاعة، والإيمان الواضح، بأن الوقت المقبول قد حضر، والنبوءات السابقة بخصوص المسيح في الناموس والأنبياء قد تم تحقيقها الآن.

لذلك تنبأوا، وتحدثوا بكل لسان، وهو الأمر الذي سبق وأنبا عنه الله من خلال الكتاب القديسين، إذ يقول الكتاب: «إِنِّي بِذَوِي أَلْسِنَةٍ أُخْرَى وَبِشَفَاهِ أُخْرَى سَأَكَلُّمُ هَذَا الشَّعْبَ، وَلَا هَكَذَا يَسْمَعُونَ لِي، يَقُولُ الرَّبُّ» (إش ٢٨، ١ كو ١٤). بولس المُلهم أيضاً فهم هذا الأمر، إذ قال أن موهبة التكلم بالسنة قد أُعطيت كعلامة لليهود. وحقيقة أنه مع نزول الروح القدس من السماء امتلأ عدد كبير بروح النبوة، يوضحه بولس قائلاً: «أَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَلْيَتَكَلَّمُوا اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةً، وَلْيَحْكُمِ الْآخَرُونَ. وَلَكِنْ إِنْ أَعْلَنَ لِآخَرَ جَالِسٍ فَلْيَسْكُتِ الْأَوَّلُ. لِأَنَّكُمْ تَقْدِرُونَ جَمِيعُكُمْ أَنْ تَتَنَبَّأُوا وَاحِدًا وَاحِدًا» (١ كو ١٤). في الأزمنة السابقة، عندما كانت إسرائيل تحالف الله بعنادها الشديد، قال الله: «هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، أُرْسِلُ جُوعًا فِي الْأَرْضِ، لَا جُوعًا لِلْخُبْزِ، وَلَا عَطَشًا لِلْمَاءِ، بَلْ لَا سَمِيعَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ. .. فَيَجُوعُونَ مِنْ بَحْرِ إِلَى بَحْرٍ وَمِنْ الشَّامَالِ إِلَى الْمَشْرِقِ يَطْلُبُونَ لِيَطْلُبُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ فَلَا يَجِدُونَهَا» (عا ٨). وحزقيال المبارك قال: «وَأَلْصَقْتُ لِسَانَكَ بِجَنَاحَيْكَ، وَلَا تَكُونَ لَهْمَ رَجُلًا مُوَحَّجًا، لِأَنَّهُمْ بَيْتٌ مُتَمَرِّدٌ» (حز ٣). وكما يقول المرتل: «الرب هو الله وقد ظهر (أنار) لنا» (مز ١١٧)، قد أشرق علينا ربنا يسوع المسيح، غافراً لتعديلاتنا، مخلصاً إيانا من الملامة، وغالقاً فم الخطيئة. قد تم منح فيض الروح القدس لنا الآن، والله يُفَرِّج الطبيعة البشرية، مُتَوَجِّحاً إِيَّاهَا مِنْ فَوْقِ بِالْمَجْدِ الْأَصْلِيِّ، مُعِيداً إِيَّاهَا بِكُلِّ حُبٍّ وَمُودَةٍ إِلَى الْحَالَةِ الَّتِي كَانَتْ تَتَمَتَّعُ بِهَا فِي الْأَصْلِ، عِنْدَمَا لَمْ تَكُنِ الْخَطِيئَةُ قَدْ حَرَمَتْهَا مِنْهَا بَعْدَ.

في الواقع، عندما لم يكن آدم قد تجاوز بعد الوصية الإلهية، لا نجده محروماً من روح النبوة. بل كان لا يزال ثابتاً ومستقراً ومُزِيناً بِكُلِّ الْخَيْرَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ. على سبيل المثال، عندما شكّل الله المرأة وأحضرها له، على الرغم من أنه لم يخبره أحد من هي، أو من أين جاءت، أو كيف جاءت إلى الوجود، أعلن على الفور: «هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ امْرِئٍ أُخِذْتُ» (تك ٢). النعمة التي أُعطيت للإنسان (الأول) صارت غير مُثمرة، ولكنها قد تم تجديدها في المسيح، آدم الثاني.

ما الطريقة التي تم بها هذا التجديد؟

في الحقيقة، الابن كإله - إذ هو بالطبيعة أيضاً من الله، ومولود حقاً من الله الآب - يخصه الروح وفيه، ومنه - أي من الله الآب بالطبع. ومن الناحية الأخرى، يُقال أن الروح مُنَحَ إِلَيْهِ بِقَدْرِ مَا صَارَ الْإِبْنُ إِنْسَانًا، وَأَصْبَحَ مِثْلَنَا. نَزَلَ الرُّوحُ وَحَلَ عَلَيْهِ فِي شَكْلِ حَمَامَةٍ عِنْدَمَا أَصْبَحَ مِثْلَنَا، وَتَعَمَّدَ كَوَاحِدٍ مِنَّا بِحَسَبِ التَّجْدِيدِ الْإِلَهِيِّ. وَمِنْ ثَمَّ، الرُّوحُ الَّذِي يَخْصُهُ يُقَالُ عَنْهُ أَنَّهُ يُعْطَى لَهُ مِنْ فَوْقِ بِسَبَبِ إِنْسَانِيَّتِهِ، وَهَذَا

هو ما يعنيه سر الاخلاء. ليكون هذا هو معنى الآية التي تقول: «**أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمْ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لَكِنِّي تَسْتَعْنُوا أَنتُمْ بِفَقْرِهِ.**» (٢ كو ٨). في الواقع، الروح كان قد أعطي لآدم في البداية، كما قلت، ولكنه لم يمكث مع الطبيعة البشرية، التي انخرفت في اتجاه الخطيئة، واتخذت الطريق التعدي، وسقطت في كل شكل من أشكال النجاسة.

هكذا، الابن الوحيد، مع أنه غني صار فقيرًا، وتلقى كإنسان الروح الذي يخصه (كإله) كما لو أنه ممنوح له، «**وَأَسْتَقِرَّ عَلَيْهِ**» - كما قال **يوحنا الإنجيلي** - حتى يمكن أن يسكن فينا نحن أيضًا الآن ويستقر علينا، كما مكث واستقر بالفعل على باكورة جنسنا الثاني، أي المسيح. في الواقع، هذا هو السبب في أن يُطلق عليه لقب **آدم الثاني**، إذ أننا من خلاله قد أعطينا إعادة تشكيل على نحو أفضل بما لا يُقاس، والتمتع بمكاسب عظيمة بالولادة الجديدة في الروح، فلم تعد الولادة الأولى التي بحسب الجسد، التي تؤدي إلى الفساد والخطيئة،

كما يقول الكتاب: «**لَأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتُ**». بدلًا من ذلك، هناك الولادة الثانية التي من فوق، التي من الله بالروح، «**الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنْ اللَّهِ.**» (يو ١). من الضروري إذن، أن أولئك المعدودين من بين أولاد الله أن يغتنوا ويتقوّوا بنعمة الروح القدس. السيد المسيح جلب وحقق هذه العطية لنا، كما أكد بطرس المُلهم قائلًا: «**وَإِذِ ارْتَفَعَ يَمِينُ اللَّهِ، وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الْآبِ، سَكَبَ هَذَا الَّذِي أَشْمُ الْآنَ تَبْصُرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ.**» (أع ٢). في الحقيقة، بينما هو كإنسان يتلقى من الآب ما هو فيه بالطبيعة، «**يسكبه بغنى علينا**» (تي ٣: ٦)، لأنه

بالطبيعة إله، حتى لو صار جسدًا. لقد سكه على كل جسد. هذا لا يتضمن فقط أولئك الذين من الختان، بل جميع المدعويين بالإيمان بدون تمييز، سواء أن كانوا من الوثنيين في أخطائهم، سواء أن كانوا صغارًا أم كبارًا، عبيدًا أم أحرارًا، برابرة أو سكيثيين، فنعمة الخلاص في المسيح مُتاحة للناس في جميع أنحاء العالم تحت السماء، لأن المسيح هو «**انتظار الشعوب**» (تك ٤٩: ١٠).

يقول، «**فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ**»، مما يعني أنفتاح النعمة ومساواة تدفقها على الجميع، لن ترفض الإناث من الله إذا فعلن بغيرة وحماس ما يرضيه، واخترن السلوك المبارك، كما أن لهن نصيبًا في المكافأة والتقديس، إذا اثبتن أهنّ جديرات بالثناء من خلال إيمانهنّ وصلاح أعمالهنّ. كيف ذلك؟ لقد صرنّ مُستحققات من الله النعمة والحنان، وتلقينّ من الله «**عربون الروح**» (٢ كو ١)، وحُسنَ من بين أطفاله.

وعندما يقول: «**يَحْلَمُ شُيُوكُمْ أَحْلَامًا وَيَرَى شَبَابَكُمْ رُؤًى**»، إنما يعني بالشيخوخة التفوق والأولوية الناتجة من الفضيلة والنضج

الروحي، مع الإنجازات الرائعة والتميزة، والتفكير الناضج المثير للإعجاب. لقد كان بولس المُلهم هكذا. رأى في حلم رجلًا من أهل **مقدونيا** يتوسل إليه قائلًا: «**اعْبُرْ إِلَى مَكِدُونِيَّةٍ وَأَعْنَا!**»، كما نقرأ في سفر الأعمال. حنانيا أيضًا كشيخ قوي في الإيمان، رأى شخص بولس المبارك في رؤيا، عندما ذهب إلى دمشق وظهر له المسيح في الطريق، وفقد بصره بصاعقة برق، وتم شفاؤه من قبل المسيح. يُسجل الكتاب هذه الحادثة قائلًا: «**وَكَانَ فِي دِمَشْقَ تَلَمِيذٌ اسْمُهُ حَنَانِيَّا، فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ فِي رُؤْيَا: «يَا حَنَانِيَّا». فَقَالَ: «هَأَنْذَا يَا رَبُّ».**» ١١ **فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى الرُّقَاقِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَاطْلُبْ فِي بَيْتِ يَهُوذَا رَجُلًا طَرَسُوسِيًّا اسْمُهُ شَاوُول»** (أع ٩).

أُسمع كيف تحدث مع حنانيا في رؤيا؟ كان قويًا في الإيمان، شابًا في انتظار الرب، ذهنه متجه نحو الصلاح، راسخٌ في بسالة، إنسانٌ روحيًا، كما هو واضح. ويبدو أيضًا أنه في حلم قدّم المقدوني مناشدته لبولس، كان شيخًا في موقفه، ناضجًا في ذهنه، مملوءًا من الحكمة العلوية. يوحنا الحكيم يعلن لأولئك المقدسين في المسيح بالإيمان: «**كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْآبَاءُ، لِأَنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ الَّذِي مِنَ الْبَدْءِ. كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَحْدَاثُ، لِأَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَقَدْ غَلَبْتُمْ الشَّرِيرَ.**» (١ يو ٢). لذا فهو يعد أولئك الذين يخدمون الرب بانسكاب الروح القدس. مرة أخرى، من هم هؤلاء الناس؟ بلا شك، هم أولئك الذين اخضعوا عنق أذنانهم لوصايا الإنجيل، متخلين عن عبادة الرمز، وتاركين خداعات الوثنية.



القدّيس كبرلس الإسكندري

«**وَأُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، دَمًا وَنَارًا وَأَعْمَدَةً دُخَانٍ. تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ، وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الْمَخُوفِ.**» (يو ٢)

كرد فعل على سلوك اليهود الأثيم، أعني ما اقترفوه ضد المسيح، حتى الطبيعة انزعجت، والخليقة حزنت لرؤية ربها وهو يُهان. الهيكل المقدس تأسى - **إن جاز التعبير** - على قدم المساواة مع النادين، وعانى التمزق، كما قال الكتاب: «**وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلٍ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقَ إِلَى أَسْفَلٍ.**». الشمس خففت سطوعها وقمعت شعاعها، ولم تتنازل لتتألق بعد على سكان الأرض. هذا تسبب، في الواقع، بالظلام من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة. الصخور تشققت، وربما حدث شيء غير معتاد أيضًا لمدار القمر، مما تسبب في أن يظهر بمنظر الدم. بينما كان هناك صمت من جانب الإنجيليين عن مثل هذا الحدث، إلا أنه جدير بالتصديق لأنه تم على أساس النبوة، إذ أنه لم تقتصر العلامات على الشمس بحسب إرادة الخالق، بل الخليقة كلها اتخذت منظرًا قبيحًا غير مألوف، وذلك واضح من كلمات الله في إشعياء: «**أَلْبَسُ السَّمَاوَاتِ ظُلَامًا، وَأَجْعَلُ الْمَسَحَ غِطَاءَهَا**» (٥٠).

عندما يقول «السَّمَاوَاتِ»، يعني كل شيء بالتمام في السماء قد تغلّف بالظلام مثل المسوح بالحزن والحداد، كما لو كانت تظهر باكية بصوت عالٍ.

في حين أن هذه الأمور هي علامات في السماء، الدم والنار وسحب الدخان على الأرض تشير في رأيي إلى المصائب التي حلت باليهود، والحرب الأكثر ضراوة التي شنت عليهم بأيدي الرومان، فندفق الدم في أرضهم كلها. كان مُقدِّراً للهيكل الشهير بأن يحترق بالنار إلى جانب المدن والمنازل التي تُركت في حالة خراب. حتى قبل يوم الرب العظيم المخوف، عند إقامة المحكمة الإلهية أمام الجميع، ومجازاة السيد المسيح كل واحد بحسب أعماله، أشار الوحي لما لحق باليهود بقوله «قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الْمَخُوفِ».

علاوة على ذلك، تجدر الملاحظة أنه حتى ربنا ذاته، عندما سُئل من قبل الرسل الحكماء بشأن نهاية العصر وأحداث سقوط أورشليم. أعطى إشارات متضاربة، ربما لكي يتركهم في جهل عمّا سيحدث في ذلك اليوم.

«وَيَكُونُ أَنْ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَنْجُو. لِأَنَّهُ فِي جَبَلٍ صِهْيَوْنَ وَفِي أُورُشَلِيمَ تَكُونُ نَجَاةٌ، كَمَا قَالَ الرَّبُّ. وَبَيْنَ الْبَاقِينَ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ».

يقول أنه سيكون هناك دون أي شك، علامات وآيات في السماء وعلى الأرض فيما يتعلق بأعمال اليهود الآثمة. وبهذه الطريقة، سوف يُتاح لهم مفاعيل رحمة الله، أي الخلاص بالإيمان، التبرير في المسيح، عربون الروح، التقديس، رجاء ملكوت السموات، غفران الله حتى بالنسبة للجرائم المرتكبة ضد المسيح. بطرس المُلمِّه، على سبيل المثال، وجه اللوم بشدة للشعب اليهودي وصرخ بجرأة أنهم قتلوا المخلص وفادي الكل مُعلقين إياه على الصليب. «أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُوسَ الْبَارَّ، وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ». ثم أكمل قائلاً: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ بِجَهَالَةٍ عَمِلْتُمْ، كَمَا رُؤَسَاؤُكُمْ أَيْضًا. فَتَوَبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. ٣٩ لِأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلِأَوْلَادِكُمْ» (أع ٢). فحتى لو كانت هناك علامات وآيات، كل من يتخذ رب السماء والأرض كسيده سوف يخلص.

العهد القديم في الكتاب المقدس (٩٦)

(أ) اليهود تحت الحكم اليوناني

(٣٣٢-١٤٢ ق.م.)

ثالثاً: اليهود تحت حكم السلوقيين:

بعد أن أخذ سلوقس الأول (٣١٢-٢٨١ ق.م.) حكم سوريا، أسّس مدينة سلوقية على نهر دجلة لكنه انتقل إلى عاصمته الجديدة أنطاكية على نهر العاصي، تلك المدينة الفخمة التي جمعت بين الثقافة والثراء في آسيا وظلّت مقراً للحكام السلوقيين **مئتين وخمسين سنة**. ولم يمضِ زمنٌ طويل حتى استرجع ملوك سوريا اليونانيون (السلوقيون) السيادة على فلسطين من أيدي البطالسة وهم الحكام اليونانيون في مصر، وما ان انتقل حكم فلسطين إلى السلوقيين الحكام اليونانيين في سوريا حتى أظهروا أشدّ العنف والعداء في التعامل مع اليهود بسبب تحالف اليهود السابق مع البطالسة، فكانت فترة حكم السلوقيين من أحلك العصور ظلمة في التاريخ اليهودي، وقد تزايدت الاضطرابات في البلاد حينما أرسل سلوقس الرابع خازنه هليودور إلى أورشليم ليحمل خزينة الهيكل، فقابله **أونيّاس رئيس الكهنة** محاولاً أن يُنصّيه عن عزمه، فلم يقتنع لكنه انصرفَ بمعجزة إلهية (٢ مك ٤: ٣-٣٢)، وخلفه أنطيوخس الرابع (أبيفانوس) الذي كان عصا تأديب للأمة اليهودية التي تركت عهودها مع الله وكسرت وصاياه، وكان أنطيوخس أسوأ الحكّام

السوريين وعمل على نشر الثقافة والفلسفة اليونانية في البلاد، وشجّع قيام حزب سياسي من اليهود (المرتدين) الذين تأثروا بالثقافة اليونانية *Hellenism* في أنطاكية مركز الحركة اليونانية الجديدة، وهم المشار إليهم بأبناء طوبيا كجماعة أشرار (١ مك ١١: ١٥)، وهم نواة طائفة الصدوقيين، وقاوم **أونيّاس** هذا الحزب وطردهم من أورشليم ولكن أنطيوخس ساند الحزب اليوناني حتى قوّيت شوكته في أورشليم خاصة بعد أن خلع أنطيوخس **أونيّاس رئيس الكهنة** وعيّن مكانه **ياسون** الذي أسرع واشترى الوظيفة بالمال، لكنها تحوّلت عاجلاً إلى **منبلاوس الخائن** الذي اشتراها أيضاً وصار تابعاً مُخلّصاً للحكم السوري، وبعد أن كانت وظيفة رئيس الكهنة تنتقل بأمانة، انحطّت ودخلت إليها الأطماع، وأصبحت الحكومة تبيعها بالمال إلى أعلى مُزايِد ومن يكتسب رضى الحزب اليوناني.

واستمرّ أنطيوخس في نشر أفكاره اليونانية فأنشأ مدرسة للألعاب الرياضية للشباب يمارسون فيها الرياضة وهم غراه (١ مك ١: ١٥) وهي من العادات المذمومة عند اليهود وضدّ عوائدهم، واصطبغت المباني بالفنون الإغريقية وتزيّنت المنشآت بتماثيل الآلهة اليونانية، وبدأ الفن اليوناني ينتشر وهو ذو طبيعة دنيوية يظهر فيها الجسم عارياً تاماً وهو ما يمتقته اليهود، وامعاناً في تحويل الأمة اليهودية إلى الروح الإغريقية شُيّدت مُدن يونانية وأعطيت أسماء إغريقية مثل بتوليمائس (عكا) وفيلادلفيا.

كان يرضع ويُرضع الكلّ - للقديس أفرام السرياني

هكذا وهو بكلّيته في الأحشاء، هو بكلّيته في كل مكان.

وهو يُصلب كان يفتح القبور، وهو في الأحشاء كان يَكُون الأجنة.

تعالوا أيها الأخوة اسمعوا بخصوص ابن الواحد السريّ الذي ظهر في الجسد، بينما قوته كانت مخفأة. لأن سلطان الابن مطلق. الرحم لا يحده، والجسد لا يقف قدمه.

أحضر له الجوس مرًا (ولبائنًا) وذهبًا، بينما تختفي



فيه كل كنوز الغنى.

المر واللبان (والذهب) الذي خلقه وأوجده، أحضره له الجوس.

فمما له أحضره له.

بقوة منه استطاعت مريم أن تحمله في حضنها، هذا الذي يحمل كل الأشياء.

أرضعته لبنًا هو هيأه فيها، وطعامًا هو صنعه.

كإله أعطى مريم لبنًا، ثم عاد فرضعه منها كابن الإنسان.

يذاها كانت تعريانه، إذ أخلى هو نفسه.

ذراعها احتضنته، من حيث كونه قد صار صغيرًا.

قوته عظيمة، من يقدر أن يحدها؟ لكنه أخفى قياسها تحت الثوب فقد كانت أمه تغزل له وتلبسه، إذ أخلى نفسه من ثوب المجد.

البحر سكن وهدأ عندما حمله، فكيف استطاع حضن يوسف أن يحمله؟

أحشاء الجحيم أدركته، فانفجرت أبوابه، فكيف احتوته أحشاء مريم؟ الحجر الذي على القبر تدرج بقوة، فكيف اشتملته ذراعا مريم؟ لقد تنازلت لترفع الكل إلى الحياة.

من يقدر أن يتكلم عن ابن الواحد السريّ، الذي جاء لابسًا الجسد من الرحم؟

جاء ورضع اللبن كطفل، وبين الأطفال ابن الله كان يزحف.

رأوه كطفل صغير في الطريق، بينما يسكن فيه حب الجميع.

كان الأطفال المرتبون يحيطون به في الطريق.

وكان الملائكة غير المرتبين يحيطون به في خوف.

كان بشوشًا مع الصغار كطفل، مخوفًا لدى الملائكة كأمير.

كان مخوفًا لدى يوحنا أن ينحني ليحل سيور حذائه.

وكان (الرب) رقيقًا مع الخطاة الذين قبلوا قدميه.

الملائكة كملائكة رأوه، وكل إنسان حسب قياس معرفته أدركه.

لكن هو والآب لهما المقياس الكامل للمعرفة.

فالآب وحده هو الذي يعرفه كما هو.

هذا هو اليوم الذي أبهج الأنبياء والملوك والكهنة فيه تحققت كلماتهم وكُمِلَتْ نبوتهم.

لأن العذراء قد ولدت اليوم عمانوئيل في بيت لحم.

ما نطق به إشعياء قديمًا، صار اليوم حقيقة.

ما تغنى به داود في المزامير، تحقق اليوم.

ما تحدث به ميخا يومًا ما، تم اليوم فعلاً.

ما تنبأ به بلعام، وجد له تفسيرًا.

لقد أتى إلينا النور السري، وظهر جماله بالجسد.

من آدم الرجل الذي لم يكن له ولادة، خرجت أمنا حواء.

فكم بالحري يلزمنا أن نصدق أن ابنة حواء تلد طفلًا بغير رجل.

الأرض البكر حملت آدم الأول الذي كان رأسًا على كل الأرض.

واليوم حملت العذراء البكر آدم الثاني الذي كان رأسًا على كل السماوات.

عصا هارون أفرخت، والعود اليابس أثمر.

لقد أنكشف سرّ هذا اليوم، لأن رحم البتول يحمل طفلًا.

حملت مريم الطفل الصامت الذي فيه تختفي كل الألسن.

حمل يوسف من فيه تختفي الطبيعة وهي أقدم من الزمن.

صار العالي طفلًا، وفيه يختفي كنز الحكمة الذي يُغني الكل.

مع أنه «العالي جدًّا» إلا أنه رضع اللبن من مريم.

هذا الذي كل الخليقة ترضع من صلاحه.

عندما كان يرضع اللبن من أمه، كان يُرضع الكل بالحياة.

بينما كان يترمي على صدر أمه، كانت الخليقة كلها تترمي في أحضانه.

كرضيع كان صامتًا، لكن كانت الخليقة كلها تنفّذ أوامره.

في السنوات الثلاثين (٣٣) التي قضها بالجسد على الأرض كان

يدبر كل الخليقة، فكان يتقبل كل تساييح السمائيين والسفليين.

هو بكلّيته في الأعماق، وهو بكلّيته في الأعالي.

هو بكامله مع كل الأشياء، وهو بكامله مع كل منها على حدة.

بينما الحمل بالابن يتم في الأحشاء، كان يَكُون الأجنة في الرحم.

مع أن جسده كان ضعيفًا في الأحشاء، إلا أن قوته لم تكن ضعيفة

وهكذا أيضًا كان جسده ضعيفًا على الصليب.

بينما لم تكن قوته ضعيفة على الصليب، إذ كان يحيي الموتى.

أنظر كيف يحرك الخليقة كلها بقدرته وهو على الصليب.

لأن به أظلمت الشمس، وتزلزلت الأرض، وفتحت القبور، وخرج

الأموات.

أنظر كيف وهو بكلّيته على الصليب كان بكلّيته في كل مكان

لأن كل الخليقة علوية أو سفلية تنال قياسها في المعرفة (وإن أدركته كإله لكن لا تدركه كما هو) أما رب الكل فهو الذي يهب كل شيء لنا.

الليلة ليلة جميلة، إذ جاء كلي الجمال لكي يجعلنا جميلين.

فلننزع إذاً من سهرنا كل ما يفسد نقاءها.

لنحفظ الأذن نقية، والعين طاهرة، وتأملات القلب مقدسة، وكلام الفم مملحاً.

في ليلة المصالحة هذه، ليصرف كل إنسان عنه الغضب والحزن.

في هذه الليلة التي فيها هدأ روع الجميع، ليته لا يكون فيها من يهدد أو يضايق.

في ليلة الإله الواحد الحلو، ليته لا يكون فيها مرارة أو قسوة.

في ليلة الإله الوديع، لا يكون فيها متشامخ أو متعال.

في يوم الغفران، لا نزيد فيه الأخطاء.

في يوم الفرح، لا ننشر فيه أحزان.

في يوم العذوبة، لا نكون قساة.

في يوم الراحة والسلام، لا نكون فيه غضوبين.

في اليوم الذي نزل فيه الله إلى الخطأة، لا ينتفخ فيه الأبرار على الخطأة.

في اليوم الذي نزل فيه سيّد كل أحد إلى العبيد، لينزل السادة بلطف إلى عبيدهم.

في اليوم الذي صار فيه الإله الغني فقيراً من أجلنا فليشارك الأغنياء الفقراء في مواعدهم.

في اليوم الذي وهبنا فيه عطايا لم نطلبها، فلنقدم صدقة لمن يصرخون متوسلين إلينا إحساناً.

في اليوم الذي فيه مُهّد لصلواتنا طريق في الأعالي لنفتح أبوابنا نحن أمام الذين أساءوا إلينا وطلبوا منا العفو.

اليوم أخذ الله الطبيعة غير التي له.

ليته لا يكون صعباً علينا أن نغير إرادتنا الشريرة.

اليوم خُتم الطبع البشري باللاهوت، حتى يتزين بنو البشر بطبع اللاهوت.

البرص - للقديس غريغوريوس النزينزي

من أكرم من والدٍ على ولد؟ ومن أحسن من أم؟ أمّا الأبرصُ فالتطع ينقُرُ منه. فالوالدُ وإن تحسّر على ولده الذي ولده وربّاه، وعدّه محلّ عينه ورفع من أجله لله كثيراً من الدعوات، والدّه هذا يطرده، باختياره وعلى رُغمه. والأُمُّ تتذكّر ما تحمّلت من الألم من أجل ولدها، وتُكلّمه وقلبها يتمزّق، بلهجة مؤلمة. تراه أمامها وتبكيه كأنه قد مات، تقول: «يا لك ولدًا تعسا لوالدة تعسة، نازعني إياك المرض فنزعك مني، يا لك من ولدٍ يُرثي له، ولدٍ لا أعرفه، وكأني ما ربّيتك إلا للمهاوي وللجبال والقفار! ستعيش مع الحيوانات البرية، لاجئاً إلى الكهوف وشقوق الصخور، ولن يراك غير أفراد قلائل من أتقياء البشر!»



تقول هذا وتذرف الدمع الغزير، تؤدّ أن تُقبّل ولدها ولكن هذه الأُمُّ الشقيّة تحشى لحم ابنها خشية العدو... يرضى الإنسان أن يعيش مع قاتل، ويستقبل في بيته زانياً، ويجلسه إلى مائدته ويشاركة في نفاقه، ويصادق من صنع إليه شرّاً؛ ولكنه يهرب ممن لم يُسِء إليه، لمرضه، كأنّ مرضه جريمة. فالرديلة في رتبة أفضل من المرض.

يمنع الناس البرص عن المدن، وعن المنازل، والساحات العامة، وعن الطرقات، والأعياد والولائم، ويمنعونهم -يا للبؤس- من الماء.

فما عسى أن نفعل، نحن الذين ساهمنا في الاسم العظيم الاسم الجديد، الاسم الذي نلناه بالمسيح. نحن تلاميذ المسيح الوديع الطيّب، المسيح الذي حمل أمراضنا، ما عسى أن تكون أفكارنا وموقفنا تجاه هؤلاء المرضى؟

ينبغي أن نفتح قلوبنا لجميع الفقراء. وأحقّ البؤساء خاصة بشفتيتنا هم المصابون بداء البرص وقد قرضَ المرضُ لحومهم حتى العظام.

إنّ أماننا مشهداً مُربّحاً حقيقاً بالرأفة، لا يُصدّق من لم يرَ فظاعته: هناك بشرٌ قد أمسوا جثثاً وهم أحياء، مشوهون في مواضع كثيرة من جسومهم، حتى ليجهلهم من كان يعرفهم من قبل. يعرفون بأنفسهم بذكر والدهم، أو والدتهم، أو أخيه، أو بذكر موطنهم؛ فيقولون لنا: «أنا ابن فلان، أُمِّي فلانة، اسمي كذا؛ كنت قبلاً صديقي وزميلي...»

تلك لغتهم، لا يمكن أن تعرفهم بما كان لهم قبلاً من الملامح، رعاهم الداء، ذهب ما لهم، وفقدوا أهلهم وأصحابهم وجسومهم نفسهم. هم وحدهم يحنّون على ذواتهم ويكرهونها، ولا يدرون هل ينبغي أن يتحسّروا على ما فقدوا من جسومهم، أو على ما بقي منها، وعلى ما قرضَ المرض، أم على ما سيقرضه؟ جزءٌ ذهب قبل الدفن، والجزء الآخر لن يجد من يدفنه.

حتى أفضل الناس وأكثرهم محبةً، لا شعور عندهم نحوهم. ننسى أمامهم أنّنا لحمٌ وأنّنا نلبس جسداً بئساً، وأنّنا أبعد من أن نُعنى بهؤلاء البشر الذين من جنسنا، وقد يظهر لنا أنّ الهرب منهم أضمنّ لوقاية اجسادنا. فكثيرون منا يقتربون عند الحاجة من جثة نبتة، وكثيرون يصبرون على نتن جثث البهائم، أو أن يغوصوا في الأوحال؛ أما البرصُ فإنّا نتهرّب منهم جهداً، يا للقساوة! ونأنف أن نتنسم الهواء الذي يتنسمونه.

النسك في حياة الرهبنة للقدّيس باسيليوس الكبير

تابع عن محبة الله



† واحتمل (الفادي) الموت المُهين ليردنا إلى الحياة (الأبدية) دفعة أخرى. وأنعم علينا بشرف اللاهوت (التمتع بثمار ومواهب الروح القدس في النفس). وهياً لنا مواضع الراحة الأبدية (في الملكوت) هذه التي تعلق على فكر الإنسان أن يصف عظم بجهتها. (راجع سفر الرؤيا ٢١).
{ قال القدّيس بولس: «ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعدّه الله (في نعيم الملكوت) لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (١ كو ٩: ٢). }

† فما هو الذي نجازي به الرب، عوضاً عما صنعه بنا؟! وهو لا يطلب منا أي مقابل (عن إحساناته)، بل من أجل عظم محبته لنا، أراد منا أن نحبه.

† أمّا إبليس (فهو في غيرته وحسده وكرهيته لخلاصنا) فيجلب علينا الغفلة والتهاون والشهوات العالمية (شهوات الجسد والطعام والمال والمناصب ... الخ). ويريدنا أن نفتخر بقلّة طاعتنا (لله). ونحن باهمالنا لوصايا ربنا، نعطي العدو سبباً للارتفاع عليه، ومن أجل ذلك يقوى علينا عدوّ الخير.

† فلتكن - يا أحبائي - محبة الله كائنة فينا (في قلبنا) كل حين، لكي تعمل في نفوسنا، وننال بركة طاعة الله، وتنفيذ وصاياه، من خلال محبتنا له بكل القلب والفكر والنفس دون إكراه.

عن محبة القريب

محبة القريب طبيعة فينا، تقويها وتنميها وصايا الله.

محبة الله والقريب مرتبطتان معاً.

محبة القريب: (القريب: ليس هو قريب النسب والدّم فقط. بل كلّ من يقترب منا: كالجار والرفيق والزميل والصديق. وكلّ محتاج لمساعدتنا، بدون النظر إلى جنسه أو دينه أو لونه، كما صوّره الرب لنا في مثل «السّامري الصّالح» (لو ١٠: ٣٠-٣٧)).

† أمرنا الرب أن نحب قريبنا مثل أنفسنا (لا ١٩: ١٨، مت ٣٩: ٢٢).

† وقد زرع الله المحبة في طبيعتنا، منذ الابتداء، وأنّ الإنسان وحده - دون جميع الحيوانات - أنيس بطبعه، مشارك لغيره. (يذكر علماء النفس والاجتماع أنّ الإنسان «حيوان اجتماعي».)

† وهذه الزروع (الفضائل) التي غرسها الله فينا، يطلب الله ثمارها ومحصولها منا، لأنه قال لنا: «أحبّوا بعضكم بعضاً» (يو ١٣: ٣٥).

† ولم يطلب الرب من تلاميذه - الإهتمام بما أعطاهم من عمل المعجزات - لكنه طلب منهم ما غرسه في البداية في طبيعتهم المشتركة فقال: «بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي: إن كان لكم حبّ بعضاً لبعض» (يو ١٣: ٣٥).

† وهكذا في كل موضع (علّم فيه) طلب هاتين الوصيتين مرتبطتين إحداهما بالأخرى. (لخصّ الفادي أساس المسيحية الحقّة في كلمتين معاً): «تُحِبُّ الرَّبَّ إلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ» (لو ١٠: ٢٧). حتّى إنّ الخير الذي نصنعه برفيقنا - من أجل الله - يعتبره الله كأنّ الإحسان موجه إليه، وكأثنا صنعناه له ذاته، فقال: «لأنّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي...» إلى آخر قوله: «بما أنّكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم». (مت ٢٥: ٣٥-٣٩).

† فمن جهة الوصية الأولى، تستطيع أن تنفّذ الوصية الثانية، ومن أجل الثانية نعود إلى الأولى.

† والذي يحب الله، هو يحبّ قريبه حقاً، لأن الرب يقول: «الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي» (يو ١٤: ٢٣). وقال أيضاً: «هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُمْكُمْ» (يو ١٣: ٣٤).

† ولهذا فإنّ عبد الله الأمين - النبي موسى - أظهر محبته لإخوته لدرجة أنه طلب من الله أن يمحو اسمه من سفر الحياة، إنه رفض (الله) طلبته أن يغفر خطايا شعبه (خر ٣٢: ٣٢).

† والقدّيس بولس تجاسر وطلب أن يكون مفروراً (محروماً) من المسيح بالجسد، عن إخوته الإسرائيليين (رو ٩: ٣). وبذل ذاته عن خلاصهم متشبّهاً بالفادي.

† ويكفي أن نعلم منه، أن القدّيسين إنما بلغوا إلى مقدار رتبته (الروحية العالية) بمقدار محبتهم للقريب.

† أما الذين دخلوا الآن الى عبادة الله (بعد إيمانهم) وهم غرس جديد، فيكفيهم أن يتعلّموا مخافة الله، وهي تنفعهم، لأن «رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ»، كما قال سليمان الحكيم.

† أما أنتم الذين تجاوزتم الطفولية (نموتم بالنعمة) ولم تعودوا تحتاجون الى اللبن، ولكم قوة (روحية) على أن تكملوا الإنسان الجوّاني بالطعام القوي (عب ١٣: ٥-١٤)، فيجب عليكم أن تجتهدوا في (حفظ) الوصايا العظمى، التي هي أركان أساسية (كالحبة والرحمة والاتضاع والحكمة... الخ) وبها تُقام محبة المسيح الحقيقية.

† فلتحفظوا يا أحبائي بخوف ورعدة (من السقوط في الخطايا) لئلا كثرة عطايا الله تُصير لنا دينونة صعبة، فإنّه قد كتبت: «من استودع كثيراً يُطالب بكثير» (لو ١٢: ٤٨). فلنشكر كرامات (عطايا) الله الكثيرة، التي أنعم بها علينا، ونمجّده دائماً، وإلى الأبد، آمين.

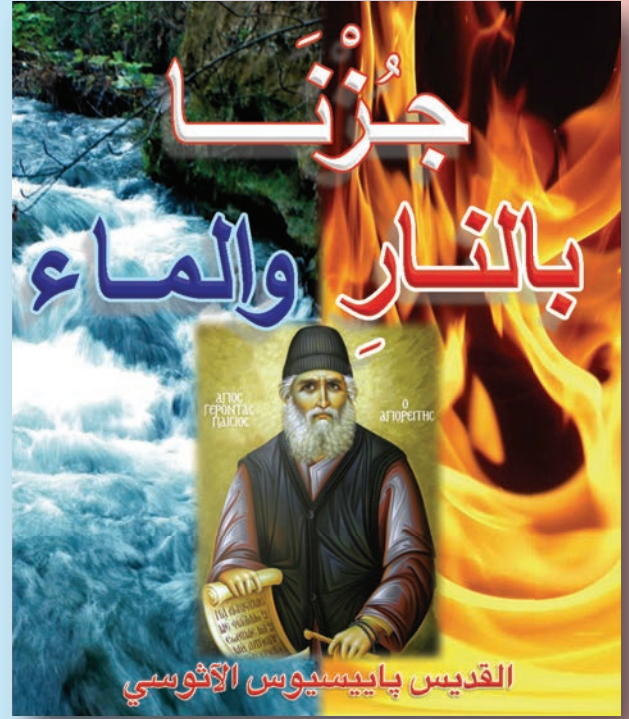
✝ مشاركة الآخرين المهم ✝

عندما يُشارك الإنسان أَلَمَ إِخوته البَشَر، يتأثّر الله بهذا ويستجِب، لأنّ هذا الإنسان، بالحبّة التي يُظهرها، يُماثلُ الله الَّذي يَهَبه تعزيةً إلهيّةً. وإلّا، لَنْ يستطيعَ تحمّل آلام إِخوته البَشَر.

✝ ياروندا، كيف تشعر بألم الآخرين؟

✝ عندما تتألمين، تفكرين بأوجاع الغَير، وتضعين نفسك مكانهم وتشعرين بآلامهم أكثر. بكلماتٍ أخرى، يساعدك أَلَمُكَ الشخصيّ على فهم أَلَمَ الآخرين. وعندما تقبلين أَلَمُكَ بفرح، تستطيعين أن تُعطي التعزية للمتألمين.

على أيّة حال، هناك فرقٌ كبيرٌ بين سماعكِ بمرض أحدهم، وبين أن تمرّضي أنتِ بنفسكِ. إذ ستفهمين عندها جيّداً معاناة المرضى. كنتِ أسمعُ بالعلاج الكيماويّ، واعتقدتُ أنّه نوعٌ من العلاج يستعملُ نوعياتٍ دوائيّةٍ من عصائر الفاكهة والأطعمة الطيبة! كيف كنتِ سأعرفُ ماهيّةته؟ أمّا الآن فقد فهمتُ معناه وأدركتُ مقدار التدمير الَّذي يسبّبه.



✝ ياروندا، أيُّهما أصعب: العلاج الكيماويّ أو العلاج بالأشعة؟

✝ أيُّهما أصعب؟ كلاهما صعب. وأسوأ ما في الأمر أنّهما يقطعان الشهية. فبينما يتوجّب عليك أن تأكلي جيّداً، لا تستطيعين ذلك. وينصحُكِ الأطباء: «يجب أن تأكلي». حسناً، كيف ستأكلين وكلّ الأدوية والعلاجات التي تأخذينها لا تُفقدُكِ الشهية فحسب بل طاقَتكِ أيضاً، فتشعرين أنّكِ كالجثة! عندما خضعتُ للعلاج بالأشعة، أحسستُ وكأنّي أحترق، ولكّني لم أتمكّن من شرب الماء إطلاقاً. كنتُ أشعرُ بأنّي سأتقيأ ومقّتُ الماء. (أعطيت هذه التعليقات في حزيران سنة ١٩٩٤، قبل شهرٍ من رقاد الشيخ. وفي نهاية محنته مع مرض السرطان التي دام ثمانية أشهر).

✝ ياروندا، ماذا لو أجريت العملية بوقتٍ أبكر بقليل؟

✝ لماذا؟ أنا لا أصلي ليزول مرضي، حتّى أعاني مع المتألمين وأشاركهم أوجاعهم. كما أنّ المرض يُفيدني روحياً. أنا لا أسألُ الله أن يجعلني قادراً على خدمة نفسي والآخرين. لكن، فلتكن مشيئته.

إذا كنتِ تُعاني من مشكلةٍ صحيّة، ولا تستحوذُ عليك، فلديكِ عندها الحقُّ بأن تسألي الله أن يُحسّن صحة الآخرين. لكن، حتّى الَّذي لا يُعاني من مشكلةٍ صحيّة، يمكنه على الأقل أن يتعاطف مع المتألمين ويُشاركهم آلامهم. «دعني آخذُ عنك مرضك»، هذا ما كان يقولُه أهل فاراسا ليُعَبِّروا عن تعاطفهم مع آلام الغير، وقلقهم أو مرارتهم.

✝ ياروندا، الألم الَّذي أعرفُ أنّه لا يُؤثّر على باقي جسدي، لا يُقلقني. لكن عندما يُشير الألم إلى وجود أذى خطير، فعندها أشعر بالقلق.

✝ وجع الظهر، على سبيل المثال، قد لا يُؤثر على نظامنا الجسديّ، لكنّه قد يشلُّ جسمنا كلّهُ، في حين يُمكن للجسد أن يحتمل آلاماً أخرى.

✝ ياروندا، عندما يتألم الجسد، فهل تتألم النفس أيضاً؟

✝ عندما يمرضُ السائق لا تستطيعُ السيارةُ إكمال الطريق. تعاني النفسُ لا تستطيعُ السيارةُ إكمال الطريق. تعاني النفسُ عندما يتألم الجسد. هل تفهمين؟ تفقدُ النفسُ مزاجها الَّذي كانت تتمتعُ به عندما يكونُ الجسمُ صحيحاً. بمعنى آخر، تمرّضُ النفس عندما يمرضُ الجسد.

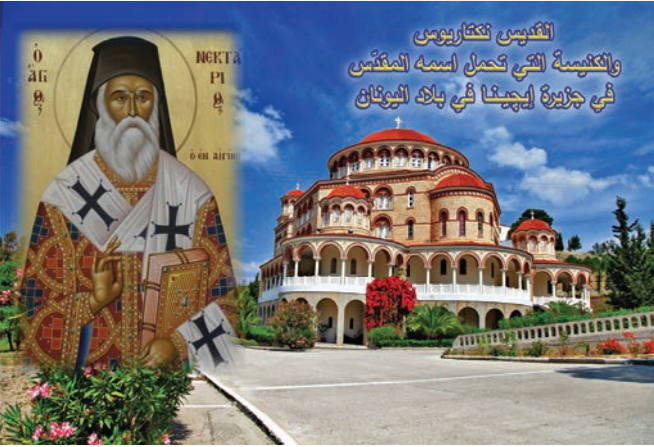
✝ ياروندا، هل يجعل الألم البَشَر أشبه بالوحوش؟

✝ إذا لم يُواجه الناسُ الألمَ بطريقةٍ روحيّة، فسيجعلهم قُساءً كالوحوش. لكن، عندما يتعاملون معه بأسلوب روحيّ، فسوف يصيرون هادئين ويختبرون تعزيةً إلهيّةً، فيتحوّل المرضُ إلى عيدٍ واحتفالٍ. يبتهجُ المرءُ عندما يُحصى في عداد المعترفين والشهداء. لقد نسيَ الشهداء القديسون أَلَمَهُم، لأنّ محبّتهم للمسيح كانت أقوى منه.

✝ هل يُمكن أن يتنفّى الإنسان الَّذي لا يُواجه أَلَمَهُ بطريقةٍ روحيّة؟

✝ إذا كان هذا الإنسان علمانيّاً، فسوف يتنفّى، أما إذا كان راهباً فلا يمكنه أن يتنفّى.

إذا قال لي قائلٌ كيف أنتِ أقولُ له أنا في عافية
لأشياء منها الرضا بالكفاف وما كلُّ نفسٍ به راضية



الفصل التاسع

«بِسْمِ الْاُدُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي ... لِذَلِكَ اَرْفُضُ وَأُنْذِمُ فِي الثَّرَابِ وَالرَّمَادِ» (أيوب ٤٢: ٥ - ٦).

«قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا!» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ لَا أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِيَ نَصِيبٌ». (يو ١٣: ٨).

هناك في جزيرة خيوس، تحققت أول رغبة في حياته، لما حانت الساعة المباركة التي لبس فيها ثوب «الحداد الذي هو مصدر الفرح»، زيّ جنود الكنيسة. وسمع رئيس الدير المسنّ يسأله:

- «لماذا أتيت يا أحي؟ ... هل ترغب في اعتناق الحياة الملائكية؟
- «أجل بمؤازرة الرب أيها الأب الجليل».

في ذلك الدير المشهور في خيوس، في **حريف عام ١٨٧٦**، صار راهباً. ولم يعد السيّد أنستاز كيفالاس، المدرّس العلماني، بل صار يُدعى الأخ لعازر.

وحينذاك غرّق كيانه كلّ في بحرٍ من الجزع إذ حمل على عاتقه هاجس المسؤولية، كان قلبه يخفق بشدّة، فقد اختار الطريق التي يهرب منها الكثيرون. إنّهُ إنسان من الأرض، يتحدّى الربّ إلهه بقبوله عهداً علنياً يلزم فيه نفسه بالصلاة طوال حياته من أجل الشعب الجاهل، ولأجل التنقية من الخطايا والخلاص الأبدي.

لقد تعلّم من تعليم الكنيسة التقليدي ما هو الرّاهب الأرثوذكسي: إنّهُ منارة ونور يضيء في الظلمات. فقد اعتنق العقّة والفقر والطّاعة بطبيعة خاطر ودون أن يُكرهه أحد. وكان يعلم حقّ العلم أنّ هذا التنسك وهذه الحياة البطوليّة التي التزمها لا تُلزم الله المحسن إليه، بتشريفه في منزلةٍ مميّزة على الإطلاق. ولكن وبما أنه اختار في أعماقه هذه الطريق، وطلبها في صلاته إلى المشارف السماوية في كنيسة المسيح المجاهدة، فهو الآن كرجلٍ أرضيّ وكراهبٍ مُلزمٌ بأن يحارب الشياطين المرعبة ليل نهار ويقهرها، ويتدرّب على العيش بفرح وأمل، ويُثقل كلّ ذلك إلى جميع الذين يحيطون به. لقد قَبِلَ بملاء إرادته أن يصبح هو أيضاً بانفراده، متشفّعاً متواضعاً لإخوته في العمد والاعتراف بالإيمان.

كانت كلّ دمة يذرفها بصمت، وكلّ تنهّد داخلي وكل نظرة يلقيها نحو السماء صلاةً يرفعها من أجل قريبه، ذلك الأخ المجهول، صلاة من أجل العالم في كفاحه ضدّ الموت، من أجل البحّارة الذين يتعرّضون لخطر الغرق، ومن أجل الجنود الذين يخوضون الحروب، والأسرى الذين يفنيهم العفن في الزنزانات، والمرضى الذين يقضون في أسرّتهم يغلف البرد أجسادهم ...

لقد تألّم لترك بيته وعائلته، لينخرط مدى الحياة في هذا الجيش

المقدّس الذي عليه أن يتحمّل فيه الصراع الملتحم دون نهاية مع الرئاسات والقوات الشريرة ورئيس هذا العالم.

ومع كلّ هذا فقد اختار بملء إرادته طريق التضحية والضيق، لأنّ هذا الاختيار يُجيب على السؤال المُقلق الذي كان يساور أعماقه: «أين هو الله؟ وأين هو قريبي؟» كبيرة هي الكرامة، عظيمة هي المسؤولية.

وقد أمضى في الدير ثلاث سنوات في التّسك والتّقشّف، فاستنارت روحه من النور الذي يفوق كلّ الأنوار. وصار يقترب يوماً بعد يوم من السرّ الأعظم ويتعلّم منه التواضع الذي هو ينبوع السّلام. «لنهرين من كلام الفريسي المتشامخ، وتتعلم تواضع العشار بالتهنّدات ...».

إنّ حكمة الربّ المحسن لعظيمة في كلّ شيء! لأنه ماذا يمكن للإنسان أن يحقّق في هذا العالم الزّائل عن طريق الطموح؟ إنه لا يحنى سوى الاعتراض والمرارة والندم: في الحقيقة إن الطموح ليس سوى إحدى جيّال الشياطين. في حين أنّ السرّ الأعظم يفتح الأبواب الدهريّة ودروب البطولة والمعرفة والصداقة والمحبة. ما همّ إن كان العمل صعباً، وإن زادت الأتعاب تعباً جديداً؟ وإن نقص الطعام قليلاً؟ فإنّ سلام الروح كنز لا يثمن، والربّ بحكمته هو المحسن إلينا، وأبونا المُعيل.

بقليل من الجهد استطاع أن يحبّ جميع رهبان الدير، وفي المقابل وبلا قصد، اكتسب محبة الآخرين من غير أن يعتبر نفسه مستحقاً لهذا الحبّ.

وفي ذكرى دخوله الدير رسمه المتروبوليت غريغوريوس شماساً، وأعطاه اسم بطريك القسطنطينيّة الجليل الذي حمله حتى رقاذه: **نكتاريوس**.

وقد جرى حفل سيامته في كنيسة القديس ميناس، هذا القديس اللامع والشهيد اللابس الجهاد والصانع العجايب الذي يستجيب طلبات كلّ الذين يطلبون معونته.

كم ضاحكٍ والمنيا فوق هامته

لو كان يعلم غيباً مات من كمدٍ

من كان لم يؤت علماً في بقاء غدٍ

ماذا تفكره في رزقٍ بعد غدٍ

(٥٤)

الارتودكسية قانون إيمان لكل العصور

قاعدة
الإيمان



الرسل
الأطهار

بعض، وكانوا عن طريقها يتعارفون بعضهم على بعض، كذلك كانوا يُحيون بعضهم بعضًا: «تعال أيُّها الرب» مع كل صباح جديد، كما كانوا يعزُّون بها بعضهم بعضًا عندما كانوا يتقدَّمون بشجاعة لمواجهة الاستشهاد. توجد هنا كلمة من واجبتنا نحن أيضًا أن نحيا ونموت بها وكذلك نطرُد بها كل المستقبل المشؤوم، يقول الرب: «إني آتي ثانية»، ويجيبه المسيحي: «ماراناثا تعال أيُّها الرب».

متى سوف يأتي:

إنَّ يسوع نفسه أجاب عن هذا السؤال عندما قال: «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الابْنُ، إِلَّا الْآبُ.» (مر ١٣: ٣٢).

ولكن شيئًا واحدًا قيل لنا: إنَّه سوف يأتي فجأةً كلصٍّ في نصف الليل، أي دون أن يكون الناس مستعدين له، ولهذا السبب وجب علينا بالضرورة كمسيحيين أن نحيا كما لو كان يسوع سوف يأتي اليوم.

زار سائح حديقة في إيطاليا غاية في الإبداع والجمال والرونق والرَّفعة في التهذيب، وكتب لنا هذه المحادثة بينه وبين البستاني:

- كم لك في رعاية هذه الحديقة ؟ خمسة وعشرون عامًا.

- وكم مرَّة أتى صاحب البستان لرؤيته خلالها؟ أربع مرَّات.

- متى جاء آخر مرَّة؟ منذ اثني عشر عامًا.

- أعتقد أنَّه يرأسلك. كلا على الإطلاق.

- ومن أين تحصل على التعليمات الخاصة بالعمل؟

من وكيل صاحب البستان في ميلانو.

- هل يأتي كثيرًا هنا؟ لم يأت على الإطلاق.

- مَنْ يأتي إذن ليعتني بالأمر هنا؟

لحدِّ ما فإنني أترك بمُفردِي.

- آه! ومع ذلك تعتني بالبستان وتحفظه بهذا الرنق حتى يكاد

الإنسان يظن أنَّك تتوقَّع مجيئه غدًا ..

كَلَّا، ليس الغد ولكن اليوم يا سيدي !

وأيضًا يأتي بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات

أخبار سارة:

لم يتكلَّم يسوع عن مجيئه الثاني ليخيفنا أو يروِّعنا: «سوف آتي أيضًا (ثانية) وأخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا»

(يو ١٤: ٣). هذه الكلمات لا تُخيف، إنَّها كلمات شخص

يحبُّنا، سوف يأتي ليأخذنا في حضرته، فإن كُنَّا نُحبُّ أن نكون في

حضرته الآن، فإننا سوف ننتهج عند رؤياه في مجيئه الثاني. إن كُنَّا

قد قبلناه كسيدٍ وربٍّ على حياتنا الآن، فسوف نتمنَّى مجيئه

متوقَّعين البركات الأعظم التي سوف يأتينا بها: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي

أَيِّي، رَثُوا الْمُلْكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ.» (متى

٢٥: ٣٤). يقول القديس بولس الرسول: «لَا شَيْءٌ مِنَ الدَّيْثُونَةِ الْآنَ

عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (رو ٨: ١). إنَّهم قد خلَّصوا

وتطهَّروا وافتدوا بدم الحَمَل، إنَّما الذين اختاروا أن يعيشوا لأنفسهم

ورفضوا يسوع، فسوف يتركون ليعيشوا لذواتهم إلى أبد الدهر.

كان مجيء المسيح يُشكِّل أخبارًا سارة للمسيحيين الأولين، ولا

زالت هي أخبار سارة للتابعين المُخلَّصين ليسوع إلى كل الأجيال.

سوف يعود المسيح، سوف يعود ظافرًا ليُخلَّص شعبه، وفي سماءٍ

جديدة وأرضٍ جديدة سوف يمسح الله كل دَمعة من العيون. لن

يكون فيما بعد موتٌ ولا حُزن ولا صراخ ولا ألم، لأن الأمور الأولى

قد مضت.

إن بدَّت الأمور صعبة الآن أو مؤلمة، فإنَّ رسالة المجيء الثاني

هي: لا تستسلم، لا تقطع الأمل، لا تيأس، ثِق بالرب، ضَع حياتك

بين يديه، إقبل صفحته وغفرانه، تمسِّك بإيمانك، وسوف تكتشف

يومًا ما أنَّ آخرين قد سبقوا واكتشفوا قبلاً منك أنَّ آلام الزمان الحاضر

لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن لك عندما يأتي الرب ثانية.

استخدم المسيحيون الأوائل كلمة واحدة في تحيَّتهم بعضهم

لبعض: «ماراناثا». إنَّنا نجدُها في (١ كو ١٦: ٢٢) وتعني (تعال أيُّها

الرب). لا بدَّ أنَّها كانت شعارًا، إنذارًا، ورُثْمًا كلمة سرٍّ كان يستخدمها

المؤمنون المسيحيون المُضطَّهدون وبتهامسون بها بعضهم مع

المصطاة التعماني عشرة لطالبي الصفاة

«رَبِّ، من الذي آمن بكلامنا؟ ولَمَن طهرت يَدُ الربِّ؟
... كنعجة سبقت إلى الذبح وحملت صامت بين يدي من يحزّه
هكذا فتح فاه. في ذلك أنكر عليه حقه. ثرى من يصف ذريته؟
لأن حياته أزيلت عن الأرض...» (اشعيا ٥٣: ١-٨).

لايينا القديس كيرلس رئيس أساقفة اورشليم

العظة الثالثة عشر في العمد

«... وَصَلِبَ وَقَبِرَ»



٢٩ - الخلل والمرارة:

أما هو فقد تحمّل ذلك لأنه جاء لخلاص الجميع، لكن الشعب لم يُحسن مكافأته. قال يسوع: «أنا عطشان» (يو ١٩: ٢٨)، هو الذي أخرج لهم الماء من صخرة صماء. وبحث عن ثمار من الكرمة التي زرعها (ارميا ٢: ٢١)، ولكن ما هي هذه الكرمة التي، بحسب الطبيعة، تنحدر من الأجداد القديسين، وأصبحت بإرادتهم تنحدر من سدوم {لأن «من جفنة سدوم جفنتهم ومن كرم عموره» (تثنية ٣٢: ٣٤)}. وللبز العطشان أتى فرع الكرمة بإسفنجة مألّى من الخل ووضعها في

زوق (يو ١٩: ٢٩). «جعلوا في طعامي مرارة، وفي عطشي سقوني خلًا» (مز ٦٨: ٢٢). هل ترى وضوح نبوءة الأنبياء؟ ولكن أية مرارة أدنوها من فمه؟ - «أعطوه خمراً ممزوجة بمر» (مر ١٥: ٢٣). هذا المرّ شديد المرارة وطعمه كالعلقم. هل هذا ما تقدّمونه للرب؟ لقد كان أشعيا في الواقع يبكي عليهم، عندما قال: «كان لحبيبي كرمٌ في رابية ذات خصب (ولكننا لن نقرأ النصّ كله)» «فما بالي انتظرت أن يثمر عنباً فأثمر حصراً برياً؟» (أشعيا ٥: ١-٢)، هل ترى الإكليل الذي زُينَتْ به؟ فماذا أصنع الآن؟ «سأوصي السحب ألا

تُطر عليه مطراً» (أشعيا ٥: ٦)، السحب أي الأنبياء، سُحبوا من بينهم وصاروا للكنيسة، كما يقول بولس: «أما الأنبياء، فليتكلم منهم إثنان أو ثلاثة وليحكم الآخرون» (١ كور ١٤: ٢٩). وأيضاً: «لقد أعطى الله لكنيسته أن يكون البعض رؤسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين...» (أفسس ١١: ١٤)؛ «كان أغابس نبياً، هو الذي أوثق يديه ورجليه» (أعمال ٢١: ١٠-١١).

٣٠ - اللسان:

وفيما يتعلّق باللصين اللذين ضلّبا معه، كتب: «وقد أُحصي مع الأثمة» (أشعيا ٥٣: ١٢). كان كلاهما أئيمين قبلاً، ولكن أحدهما لم يعد كذلك. والذي ظلّ أئيمًا رفض الخلاص إلى النهاية. ولما كانت يداه موثقتين، كان يضرب بلسانه مجدّفاً. وكان اليهود المارّون يهزّون رؤوسهم ساخرين بالمصلوب، حتّى يتم ما كُتب: «نظروا إليّ فأغضوا رؤوسهم» (مز ١٠٨: ٢٥). ولكن الآخر كان ينهره. كان هذا نهاية حياته وبداية توبته، فأسلم روحه وتلقّى الخلاص. إذ أنه بعد أن وبّخ رفيقه قال: «أذكرني يا رب، لأني إليك أصرخ، أترك هذا لأنّ عيني

فهمه مُغلقتان، ولكن أذكرني. أنا لا أقول أذكر أعمالي، لأنّها تخيفني. كلّ إنسان على استعداد طيّب نحو رفيق سفره. وأنا لا أقول أذكرني الآن، ولكن عندما تأتي في ملكوتك» (لو ٢٣: ٤٠-٤٢).

٣١ - اهتداء اللص الصالح:

أية قوّة أنارتك أيها اللص؟ من علّمك أن تعبد هذا المُحتقَر والمصلوب معك؟ أيها النور الأزلي الذي يضيء لمن هم في الظلمة! فمن العدل ان كان هو سمع: «ثق، لا لأنّ أعمالك تدعو الى الثقة، بل لأن الملك الذي يعفو موجودٌ هنا. يستغرق الطلب وقتاً طويلاً، ولكن النعمة تأتي بسرعة. «الحق أقول لك: اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣)، «لأنّك اليوم سمعت صوتي، ولم تُقسّ قلبك» (مز ٩٤: ٨). بلحظة طردت آدم، وبلحظة أعفو عنك. للأول قيل: «يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك ٢: ١٧)، ولك أنت الذي أذعن للإيمان، أقول: لقد خلصت اليوم. لقد سقط آدم بسبب الشجرة، وأنت بسبب الشجرة تدخل الفردوس. لا تخف من الحيّة فإنها لن تطردك خارجاً، لأنها هوت من السماء (لو ١٠: ١٨). أنا



لا أقول لك: «اليوم تذهب» بل «ثق اليوم تكون معي». أنت لن تُطرد. لا تخف من بريق السيف (تك ٣: ٢٤)، انه يخشى ربّه. يا لعظمة نعمتك الفائقة الوصف، يا رب! إبراهيم المؤمن لم يدخل بعد، واللص دخل! موسى والأنبياء لم يدخلوا بعد، واللص الخارج عن القانون دخل. ولقد سبق لبولس أن تعجّب قبلك قائلاً: «حيث كثرت الخطيئة طفحت النعمة» (رومه ٥: ٢٠). هؤلاء الذين تحمّلوا حرّ النهار المُحرق لم يدخلوا بعد، والذي جاء في الساعة الحادية عشرة دخل. لا يتذمّر أحدٌ منكم على ربّ البيت، بما أنه هو نفسه يقول: «يا صديقي، ما ظلمتك... أقما يحقّ لي أن أتصرف في أموري كما أشاء؟» (متى ٢٠: ١٢-١٥). كان اللص يريد أن يعمل أعمال البرّ، ولكن الموت سبقه. أنا لا أنتظر منه عملاً (إذ هو مات) بل أقبلُ إيمانه. جئتُ أنا الراعي بين السوسن، جئتُ لأتغذى في الجنّات (نشيد ١: ٦). لقد وجدتُ الخروف الضالّ فحملته على منكبي (لو ١٥: ٤-٥). إنه آمن بما أنه قال: «لقد ضللتُ كالخروف الضائع» (مز ١١٨: ١٧٦). «أذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك» (لو ٢٣: ٤٢).